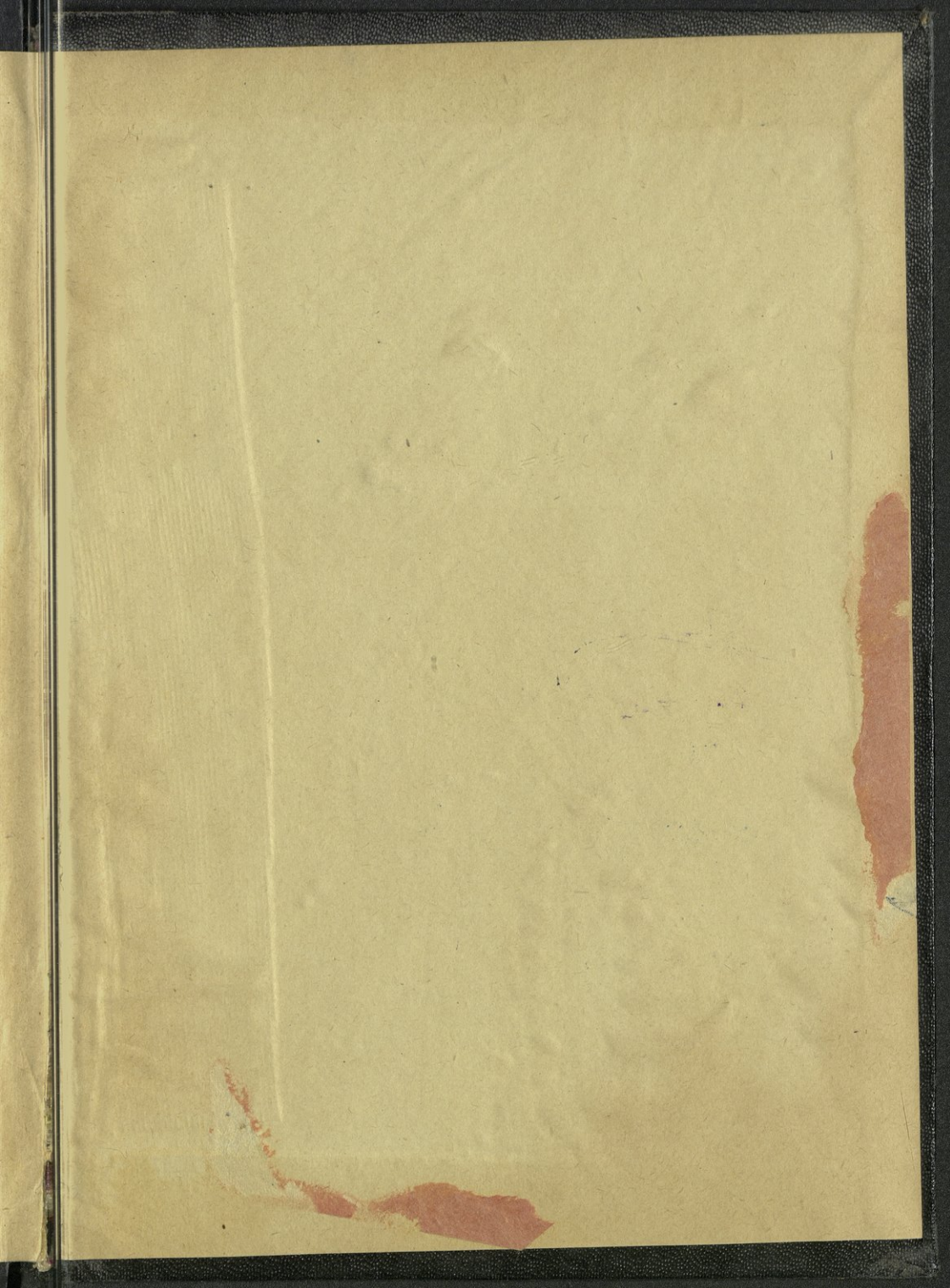


مصر

العرب الوطنى - ١٩٤٧

١٩٥٢-١٩٥٧-١٩٦٧



329.962:H67hA

1947

الحزب الوطني • (مصر)

الحزب الوطني في عام ١٣٦٧ - ١٩٤٧

329.962

H67hA

1947

JAFET LIB.

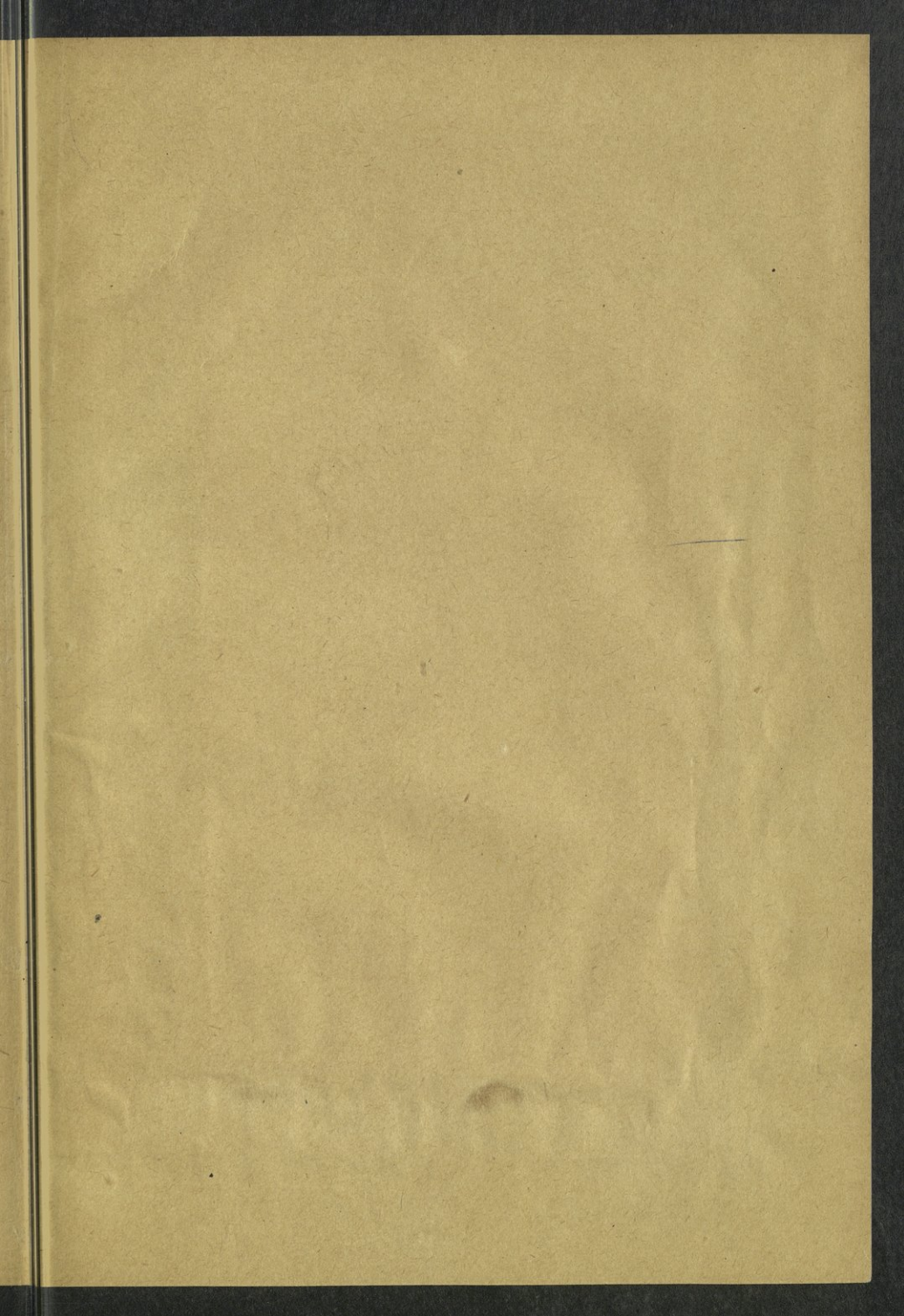
NOV 1977

J. LIB.

2 DEC 1981

FEB

84



329.962
H67 RA
1947
نشر الحزب الوطني

(٤)

الحزب الوطني

في عام

١٣٦٧ - ١٩٤٧

اننا اذا دعونا الناس للدخول في هذا الحزب لا ندعوم
باسم سلطة عالية ، او حاكم نافذ الكلمة ، بل ندعوم باسم
وطنتهم ، باسم شرفهم ، باسم حقوق وطنهم ، باسم كرامة
الانسان ، باسم ذكريات آبائهم واجدادهم ، باسم مصالح
ابنائهم واحفادهم .

(مصطفى كامل)



مقدمة

كنت اقلب المجموعة السابقة لما أذاعه وكتبه الحزب الوطنى فى عام سنة ١٩٤٦ من الخطب والمقالات والبيانات السياسية . فكأنى كنت اقلب النظر فى شريط من الحوادث الوطنية ، تتابع وتعاقت واخذت بعضها برقاب بعض ، على نسق من الترتيب المنطقي ، يؤكد لكل كافر بالتاريخ ومنطقه ، ان الحوادث فى حياة الامة وان بدت متناثرة مبعثرة غير متصلة ، لا تسير اعتباطا ...

رأيت بلدى ووطنى العزيز مصر ، فى اعقاب الحرب العالمية الثانية ، تظن النجاح فى المفاوضات فتطلبها او يطلبها وزراء سنة ١٩٤٥ ، ويعتبرون الظفر بهذه المفاوضات فى ذاتها نجاحا يهتئون انفسهم عليه . ثم تقع المفاوضات فأرى فعلها المدمر ، واثرها المحرب ، يفعل فعله ويترك طابعه على التفكير القومى ، فالأمة انقسمت لمجرد الحديث عن المفاوضات الى معسكرين : واحد مسقبشر بالمفاوضة ، داع لها ، معان نتائجها العظيمة سلفا . وآخر متشائم متطير ، لا يرجو منها خيرا ، ولا يعاق عليها املا ... والمعسكران يتنابذان بالالقاب ، والحركة الوطنية بين الفريقين خاملة جامدة ، لا يجرى فى شرايينها دم ، ولا ينبض لها قلب او عرق . يسير دعاة المفاوضات والمؤمنون بها قدما ، لا يحفلون بتحذير الحزب الوطنى ، ولا يلقون بالا الى عظات التاريخ فى مصر ، وفى العالم كله ، ولا يكتثرون بتجربة المفاوضات فى سنة ١٩٣٦ ، وما اسفرت عنه من القيود والاغلال ...

يسير دعاة المفاوضات ، والمؤمنون بهذه المفاوضات يملأهم الأمل ان يظفروا لبلادهم بخير عيم على الموائد التى تمدها بريطانيا ، وتحسن استدراج الناس اليها ،

شأن الصائد الماهر الذى يعرف كيف يكسو شبابه كل يوم بمظهر جديد ،
يخدع الصيد ، ويغرى الطير ، ويجمع له خيراً كثيراً ...

وقد كان المفاوضون الذين ملأت نفوسهم (روح المفاوضات) ، يهزون
اكتافهم لما يقوله الحزب الوطنى ، ولما قاله عند كل مفاوضة ، وهم يقولون لأنفسهم
انهم اقوام عمليون يصلون الى الهدف من الطريق الذى يوصل اليه ، ويبلغون الغاية
من حيث تطول الايدى ، وان الحزب الوطنى والسائرين على نهجه ، نظريون
يطمئنون انفسهم ، ويتملقون كبرياءها بأنهم لا يتسامحون فى شيء من حقوق
بلادهم ، وان جبل الود لا يتصل بينهم وبين اعداء بلادهم ، وان مكانا لا يضمهم
وخصوصاً امتهم . ولكنهم فى الواقع يفرون من المسؤولية وينجون بأنفسهم
عن التبعات التى تقتضيها مواجهة الواقع .

ولقد كان ظاهر الامر يعين أنصار المفاوضة ، وتفتت الروح المعنوية
يكسبهم حججاً لا يقولونها ، ويسبغ على دفاعهم سحراً يجمع حول معسكرهم
المؤيدين والانصار ، فقد كانوا يقولون ساخرين : لقد آمنا بأن المفاوضة بلاء
مستطير ، وانها لا تؤدى الى كسب الحق كله ، ولكن ما الذى يؤدى الى الحق ،
وما الذى يمنع عنا بلاء المساومة . أليس الحرب والقتال هى السبيل الى الترفع عن
عار المساومة والمفاوضة . حسناً !

نعم معكم فى كل الذى تقولونه ، ولكن ما السبيل الى حشد القوى العسكرية
وتسليح الجيش ، وامداد الامة بما يعينها على القتال ؟ أليس الطريق الوحيد
المؤدى الى هذا ، هو ان ترتفع عنا رقابة بريطانيا ، وان تتراخى عن شؤوننا
قبضتها ، وان تنصرف عن خاصة امورنا عيونها ؟ فاذا كان هذا هو وحده
الطريق الى ما نرجو ونرجو ، فقيم التردد فى ان نهقد احسن ما يكون بيننا
وبين بريطانيا من المعاهدات والعقود ، ثم ننطلق الى مخازن الاسلحة ومصانعها
فى العالم كله ، نشترى اجود ما لديها ، ثم نسلمه الى شباب الامة بعد ان نعلمه

وندربه ، ونرأب ما تصدع من بدنه ، ونجبر ما تسكسر من نفسه ، ثم نطلقه على
بريطانيا وعلى غيرها ، لنجدد عهد مجد على ، وعهد صلاح الدين من قبله ، بل عهد
رئيس وحتمتس من قبل الجميع ؟

كانوا يقولون هذا القول في حماسة المتصوف ، وكان السامعون مأخوذون
ببلاغة هذا المنطق المتأسك المحبوك .

وكان الحزب الوطنى الذى ولد فى ظل المقاومة ، وكان النضال عنوان
حياته ، وسر وجوده ، بسمع هذا المنطق متذكرا ان سعد زغلول ، زعيم
الأمة ، والاتفاق مع بريطانيا ، قد أجمله على مسمع من العالم ، ومشهد من
نواب الامة يوم ان طلب اليه نواب الحزب الوطنى ان يعمل شيئا فقال : « هل
عندكم تجريدة ؟ »

ولما رأى ان هذا السؤال الساخر قد ألهب اكف نوابه بالتصفيق ، أردفه ،
فى صوت الطبع الكيس الذى لا يأبى نصحا ، ولا يكره إرشادا فقال : « دلونى
على السبيل ... »

والحق ان المدرسة الزغلولية ، بما أفرخته من زعامات هذه الايام فى حاجة
إلى من يرشدها سواء السبيل ، وقد أرشدها الحزب الوطنى ، ولكن لا يكفى
ان تعلم الانسان كيف يطلق السهم ، لينتفع بالدرس ، فان الذى يطلق السهم قبل
الساعد المشدود ، القلب الذى ربط عليه صاحبه بايمانه وتقواه .

ولقد كنا نظن ان الحقائق التى كشفت عنها معاهدة سنة ١٩٣٦ كفيولة بان
تبين للناس ان ماتصوروه من أنهم سيمالكون عند توقيعها أن يشتروا الاسلحة ،
وان يصغموها فى الجيش ، وان يقيموا المصانع ، وان يتحرروا من ربقة السيادة
البريطانية ، السياسية والعسكرية ، ليس إلا وهما . لان بريطانيا لا تعقد معاهدة
الا اذا أبتت فيها خيطا ولو رفيعا ، يربط عنق المفاوض وعنق أمتة بأنامل
السياسة البريطانية ، فاذا جد الجد ، وتحقق الخطر ، عبتت هذه الانامل بهذا
الخيط الرفيع ، فأحس الذين وثقوا ببريطانيا ، وارتضوا ذمتها ضمانا ، بمثل
شهور الاختناق ..

ان منطق المفاوضة سليم جدا ، ومقنع جدا ، اذا كان منطق الامة وزعامتها هو ما عبر عنه سعد زغول بقوله : « دلوني على السبيل ؟ وهل عندكم تجريدة » أى اذا لم تحاول الامة ان تستقل بنفسها ما استطاعت الى ذلك سبيلا ، في ميادين الاقتصاد والتعليم ، واذا لم تؤجج في نفوس ابنائها سرا إذا عز ذلك جهورا ، روح الكراهية والخصومة للاعداء ، والترفع عن التعاون معهم ، او الاقتراب منهم او شراء ما يبيعون او تداول ما يوزعون .

والانجليز حينما يرون ذلك ويواجهونه ، وحينما يرون اصرارا عليه من الشيوخ قبل الشبان ، يبطشون اول الامر بالشعب ، ويصلونه عذابا مستطيرا ، واكثهم يكفون عن ذلك تحت ضغط الاحداث التى لا تدع انسانا فى أمن ، ولا انسانا فى ضعف ، ولا أمة بمنجاة عن الاعاصير ، ولا دولة فى الحضيض . وهذا فى الواقع سر الخلاف بين اقوام يرون ان المفاوضة اسر الطرق وابسطها ، واقوام يؤمنون بان النضال والمقاومة ، هو اشرفها واضمنها .

ومن ثم كنت اقرأ بصيحات رئيس الحزب الوطنى وكتاباتة تفيض تحذيرا وانذارا ، وتبدو لغير العارفين انها تفيض ايضا تشاؤما وبأسا ، فى وجه المفاوضين ، وكأنها صرخات فى واد ... أشبه شئ بصيحات عامل الانقاذ الذى يلقى بحبل النجاة للغريق ، مشفوعا بالتنبية ، مقترنا باليد الممدودة لتخليصه مما اجتمع عليه من لجة الموج ، والغريق فى محنته واختناق انفاسه ، واختلاط الاشباح والاشكال امام انظاره ، يصنع منقذه ويكاد يهوى به معه الى اعماق الموت ، وأغوار الهلاك ...

أقبل المفاوضون فى سنة ١٩٤٦ على المفاوضة والحزب الوطنى لا ينفك يدعوهم الى تركها ، أو على الاقل التجمل فى اظهار اللهفة عليها ، والزام الحذر بعدم التقدم بمشروعات مقيدة لمصر ، وترك بريطانيا لتقدم هى المشروعات التى تختارها ، لترفضها طالما انها لا تحقق كل المرجو ولا تنفق مع كمال المطلوب ..

ولكن هذه الصيحات الخلصة لا تضيع أبدا ، فان المفاوضات التى بدأها

اسماعيل صديق حتى انقطعت خيوطها في يده ، فاستلمها محمود النقراشي من بعده ،
ووصل ما انقطع فيها ، لم تلبث حتى تقطع كل خيط في نسجها ، واذا بزعم
المؤمنين بالمفاوضة ، واعظم خلفاء سعد زغلول في الدعوة لها .. اذا بالنقراشي
باشا نفسه يقطع المفاوضات ...

على كل حال كان كسبا لا ينكر ان يكون هذا المفاوض العريق ، مؤمنا
بخاصمة بريطانيا ومخاشتها ، وهال الحزب الوطني بهذه الخطوة وسجلها ،
ونصح بما يجعل الاقدام عليها منتجا ونافعا ... وتوات نصائحه وارشاداته ...

وعلى الرغم من أن الحزب الوطني كان يعلم أن الرسميين الذين سيحتلون مصر
في هذه المعركة حديثو العهد بهذا النضال الجديد ، فانه أبى أن يشكك في رقدتهم
منكرآ ذاته ، داعيا لهم بالتوفيق .

واذا كانت المجموعة الاولى قد سجلت المرحلة الاولى من مراحل القضية
المصرية بعد الحرب العالمية الثانية ، فان المجموعة التي تقدمها الآن ، تسجل المرحلة
الثانية من مراحلها ، وهي مرحلة ما كان قبيل قطع المفاوضات ثم قطعها والذهاب
إلى مجلس الامن ثم العودة منه .

في هذه المرحلة بلغ التحفز للنضال إلى ما كان جديرا بان يستغل في خدمة
الاهداف الوطنية المختلفة ، وفي تغذية روح الاثارة ، وانكار الذات في البلاد ،
واستحداث الخطى الى الاعمال العامة في مختلف النواحي ، والخروج بالامة
من النطاق الحزبي الضيق الى حياة قومية صحيحة تنفَس فيها هواء جديدا ،
ولكن للأسف مرت هذه الفترة الجميلة مروراً سريعاً ، ولعله مروراً سطحيّاً
ايضاً ، وران على البلاد جو ثقيل من الخمود ، واستطاعت روح المساومة ان
تعاود بسط ما كان لها من سلطان .

في مجلس الامن وقف رئيس الحكومة المصرية يقذف في وجه بريطانيا امام
العالم بأحرج التهم ، وبأعلى الصوت .

في مجلس الامن استعاد رئيس الحكومة تاريخ الاحتلال البريطاني في مصر ، واعتبره سوطانا ، ووصم البريطانيين بالقرصنة ، فلما انتهت معركة مجلس الامن رأى الناس البريطانيين والمصريين الرسميين يتحدثون عن الصداقة ، كأن كل ما قيل كان من إملاء الظرف وحده ، فلم يكن تعبيراً عن روح جديدة ، ولا تنفيذاً لسياسة جديدة .

ولذلك فأننا ونحن نقدم هذه المجموعة نحس ان الحزب الوطنى لم يدخر وسعاً في ان يرسم الطريق الى نهايته ، وان يبين ما يجب ان يعمل بعد معركة مجلس الامن ، وهو عمل لا يزال الى اللحظة التى نكتب فيها هذه السطور فى حاجة الى حكومة تنفذه ، والى روح عامة تحتضنه ، وترعاه ، وتصل به الى غاية مدام . والحزب الوطنى لم يدخر وسعاً لذلك فى وجه صعوبات متكاثفة فى خلق هذه الروح ، وبها بين الشباب ، وهو يجد — رغم كل شىء — ما يؤكده املة فى ان السعى لا بد ان يثاب ، وان الجهد لا يمكن الا ان يجازى ، فאלله لا يضيع أجر من احسن عملاً .

فدعوة الحزب الوطنى وجدت بين صفوف المثقفين الذين يؤسوا من الاحزاب فى مصر ، واعتبروا العمل السياسى (صناعة) لا يتقنها إلا جماعة من محترفيها ، المنقطعين للكسب منها ، وأن (العقلاء) لا يحسنون منافستهم فيها و (الامناء) لا يقوون على احتمال متاعبها ، و (المخلصون) لا يستسيغون صرارها ، قد عادوا وعم أكثر املاً ، واشد عزمًا فى تطهير المسرح الوطنى من الدجاجة والمتجرين والحوارين ودعاة الهزيمة .

ولذلك كان السؤال الذى يتردد دائماً على مسامع زعماء الحزب الوطنى والمتحدثين باسمه : « ماذا اعدتكم للامة فى ميادين الاقتصاد والتعليم والصحة ؟ » وهو سؤال لم يثقل ابداً على اسماعنا نحن الذين نعرف كيف ان برنامج الحزب الوطنى كما كتبه مصطفى كامل ، وكما طبقه الحزب الوطنى عملياً هو برنامج شامل لم يدع سبيلاً من سبل التعمير والانشاء ، إلا واعتمده وأدخله فى حسابه ، فضلاً عن انه برنامج (علمى) ، يستند الى أسس صحيحة دولية وداخلية . فلم يوضع

ارتجالاً ، ولم يشغل بالتفاصيل دون تأصيل الأصول ، أو الرجوع إلى الكليات
وتفصيل القواعد .

فهو في السياسة الخارجية يدعو إلى :

أولاً — بطلان كل معاهدة أو اتفاق يتم في ظل القوة ، ويعقد تحت الاكراه
الصريح أو الضمني — الأدبي أو المادي .

ثانياً — اعتبار المعاهدات الثنائية التي تعقد بين دولتين مثار نزاع دولي
في المستقبل ، لأنها عادة تتضمن تهديداً ضمنياً لدولة ثالثة أو لمجموعة
من الدول .

ثالثاً — ان الاحتلال البريطاني (تطبيقاً للمبدئين السابقين) تهديد للسلام
الدولي ولأمن الإنسانية . فيجب حشد القوى الدولية لازالته لرفعها
للعنوان عن مصر وحدها ، بل لاقرار الطمأنينة الدولية ، وإشاعة
الاستقرار بين الشعوب .

رابعاً — ان الاحتلال البريطاني لمصر ، هو الذي أدى إلى احتلال فرنسا
لتونس ، واحتلال إيطاليا لطرابلس ، وانه سيؤدي إلى احتلال
دول أخرى .

أما في الداخل فيؤمن الحزب الوطني :

أولاً — بأن الكيفاح السياسي يجب ان يكون شعبياً ودستورياً .

ثانياً — ان الشعب يجب ان يهيأ ليقوم بقسطه من هذا الكيفاح ، فيتعلم
ويثقف اذ لا يكفي ان يتلقى العلوم المدرسية ، دون الثقافة السياسية
التي تعرفه حقوقه وتطوره أولاً بأول على تطورات كفاحه مع خصومه .

ثالثاً — إن حقوق الشعب الاقتصادية مكملة لحقوقه السياسية . وان المصري
لا يستطيع ان يلتفت بحقه الدستوري ، ولا يفهم خطر الاحتلال
الاجنبي ، الا اذا توفرت له حياة إنسانية .

رابعا — ان نظام الضرائب هو وسيلة من وسائل إيجاد التوازن الاقتصادى فى البلاد من الطبقات المختلفة ، فيجب اعادة النظر فيه من حين الى آخر ، كلما مال الى جانب من الشعب دون جانب .

خامسا — ان التعاون فى الانتاج والاستهلاك ، وسيلة ناجحة من وسائل تلطيف حدة التنافس الاقتصادى ، فيجب تدعيمه وتوسيع نطاقه .

سادسا — ان ادراك العمال الوطنى وثقتهم السياسى ، لا يتم الا بتنظيم نقاباتهم وكفالة الحياة لها .

سابعا — ان ميزانية الحكومة المصرية لم تتسع بعد للخدمات الاجتماعية التى تحمى المجتمع من كثير مما يتعرض له افراده من المرض والتبطل .

واقدر كانت هذه المبادئ شديدة الاحاح على ذهن محمد بك فريد ، رئيس الحزب الوطنى الثانى ، فكان دائب التفكير فيها ودائم العمل على تلقى التفكير السياسى بها . فلم تخل خطبه السياسية الجامعة ، من هذه الروح الاقتصادية الاجتماعية التى لم يشاركه فيها مشارك من السياسيين الذين عاصروه او السياسيين الذين جاءوا بعده . ولوروجعت الخطب السياسية منذ وفاة محمد بك فريد الى اليوم لما وجد فيها القارئ اشارة جديدة الى مشكلة من المشاكل الاقتصادية ، ولما لمح فى سطورها روحا اجتماعية ضعيفة او قوية .

ومع تفرد الحزب الوطنى بالسعى فى بذور بذور النقابات العمالية ، وفى الاصرار فى تأسيس الجمعيات التعاونية ، وفى السعى الجدى لانشاء مدارس الشعب لنشر الثقافة الوطنية بين طبقات العمال ، وفى احياء الفقراء ، فان كثيرين من انصاره — فى هذه الايام — لا يرون فى هذا العمل المتعدد النواحي ، ما يمكن ان يسمى (برنامج اقتصادى) للحزب الوطنى .

وعلى الرغم من ان هذه المسألة شائكة ودقيقة ، وهى فى الوقت نفسه لم تطرح بعد على مؤتمر من مؤتمرات الحزب الوطنى ليقول فيها كلمته . فانى ارى ان لونه

(البرامج) التي استولت على عقول الشبان هذه الايام في حاجة الى مجهود قوى لتصحيح الامور في اذهانهم .

* * *

فالحزب الوطنى حركة لتحرير وادى النيل من الاستعمار الاجنبى ، وهذه رسالة ضخمة في حاجة الى العقول والسواعد من كل طراز . فالاشتراكي ومن يدين بالتفكير الاسلامى البحت ، والرأسمالى المتطرف ، مطالبون بأن يقفوا تحت لواء هذه الرسالة وان يعملوا صفا واخدا للدفاع عنها ، وللبذل في سبيلها . وهى رسالة لا تتعارض مع اتجاه أى منهم ، لان كلا منهم يعتقد ويؤمن بأن الاستعمار خطر انساني يجب القضاء عليه .

وهذا القدر المشترك بين هؤلاء يكشف لأن يتعاونوا جميعا في محاربته وتخليص وادى النيل منه ولا بأس أن يرى الاشتراكيون الحرية الاقتصادية الضمان الاول للحرية السياسية ، وان يرى الرأسماليون في الاستعمار الاجنبى ، خطرا مهددا لنشاطهم ، ومهددا لأرباحهم ، ومت دخلا في توجيه منشآتهم ومؤسساتهم ، وان يرى المفكر المسلم ، ان المذهب الاقتصادي الاسلامى شىء ثابت بين الرأسمالية والشيوعية ، وان تحريم (الربا) و (القروض ذات الفائدة) يحبس الملكية في قفص ، ويحول بينها وبين التغول ، ولا شك ان هؤلاء جميعا يجحدون لديهم الفرصة كاملة لمناقشة نظرياتهم والدفاع عنها تحت لواء هذه الرسالة الضخمة العليا . وهى حرية وادى النيل ووحدته .

ولقد احسن الهنود حينما انشأوا اداتهم السياسية الضخمة (مؤتمر كل الهند) فقد كان في وقت واحد حزبا واجدا ، واحزاب مجتمعة . فكان فيه المحافظون ، والمجددون ، والمتطرفون ، والمعتدلون ، والشيوعيون ، والمتصوفون ، والاحاديثيون ، والمسلمون ، والهندوكيون ، والمنبوذون ، والرأسماليون ، والعمال ، والاشتراكيون . ولكنهم جميعا كانوا زملاء متعاونين في الميدان

السياسى يسدد كل منهم بقدر طاقته ما يستطيع من الضربات في صدر الاستعمار
البريطانى ونقوذ الانجليز في الهند .

واذا استعرضنا اسماء الشخصيات الكبرى التى تكون منها حزب (مؤتمر كل
الهند) ، لرأينا هذه النماذج المتباينة في التفكير الاجتماعى ، ولرأينا على ذلك شيئا
مشتراكا بينهم ، هو خصومتهم لبريطانيا . فغاندى يقيم تفكيره السياسى والاقتصادى ،
على اساس من الهندوكية والمسيحية والتصوف . وهو يدعو الى السلام ويكره
العنف ، ويكره الحضارة المادية ، والى جواره جواهر لال يكاد يكون شيوعيا ،
وهو يدعو الى الحضارة الاوربية ، ويؤمن بها ، ومحمد على جناح يدين لاوروبا
ببدائه المادية ، وللإسلام بحياته الباطنية والعقلية .

فالْحزب الوطنى وهو حركة تحرير وبعث لا يجب ان يكون مذهبيا اجتماعيا
او اقتصاديا ، وان كان الحد الأدنى ، وهو الحد المشترك من جميع انصاره
وزعمائه ، هو الاسراع بهدم هذا الوضع الاجتماعى الاقتصادى القائم على انقاض
المجد المصرى الذى قوضه الاحتلال البريطانى الذى استغل كل شئ لخدمته ،
فأشاع الفوضى والخلل فى الجهاز الحكومى وفى التفكير الاقتصادى فى البلاد ،
فراكم على رؤوس الملايين من ابناء البلد الجهل ، وقيدهم بهال وامراض بدنية
وعقلية اشقت بهم على النهلكة ، وبددت قواهم ، واتلفت آدميتهم .

هذا هو الحد الأدنى الذى لا يقبل الحزب الوطنى ان ينزل عنه ، والذى
لا يتصور ان انسانا عاديا ، مهما كان لونه ، او كان مذهبه ، ينازع فى لونه
أقل القليل .

ان الحزب الوطنى يدعو جميع ابناء وادى النيل ان يستأنقوا من جديد ،
الهجوم على الاحتلال والاستعمار البريطانى ، فقد اتى مددا من الولايات المتحدة ،
فقد وقفت فى صفه ، واجتمعت كلمتهما على ان يغيروا فى شكل الاستعمار ، دون
موضوعه ، وان يلونوا مظهره ، مع الاحتفاظ بجوهره - وانعقد العزم بينهما على

ن تبقى الدنيا لها سوقا للمتاجرة ، وان تتحول القيم الانسانية الكبرى الى سلع
تباع وتشترى ، وان تفرق المثل العليا في ترف سينمائي يخلقه سياسة الانجلوسكون
فتختنق منه الحقائق الكريمة في حياة البشر .

ان انتصار المادية الانجلوسكسونية في اخضاع البشر معناه ان الحياة الانسانية
ستستحيل الى صراع مادي تافه ، وان الناس جميعا سيعيشون عيشة اصرائية
ملؤها النزاحم والتنافس ، والوقوف في اوجه الانجلوسكون هو واجب روحي
— فضلا عن كونه واجبا وطنيا — فعلينا اذن ان نضم الصفوف ، وان نواصل
سعيينا في دأب ، وفي ايمان ، مستهدين ارواح زعمائنا الذين رسموا لنا الطريق .

* * *

إن الحزب الوطني وزعماءه وأنصاره ، عاشوا حياة ملؤها الشظف ، والشدة ،
ولاقوا في الكفاح من أهوال التضيق والعذاب ، ما كان جديرا بان يثنى عندهم
العزم ، يبعث في قلوبهم الخوف ، ولكنهم اعتبروا أن (العيش في خطر) ،
هو طابع حياة المؤمنين ، وسمة وجودهم .

فليكن أبنائهم ، في مثل شجاعتهم وصبرهم . وفي مثل ايمانهم وثباتهم . وفي
مثل تجديدهم وخلقهم .. ولينبعثوا في كل مكان ، في وادي النيل ، حاملين معهم
بذور هذا الايمان ، محرّكين به الهمم والقرايح ، فان وادي النيل يستقبل عبدا
مجيدا ، والامجاد تحتاج الى قلوب قوية ، والى سواعد قوية .

فتمهي رضوان

رئيس اللجنة العليا للحزب الوطني

ماضي مي !

او ما أُسْمُ المدينة بالبارحة

في سنة ١٩٢٤ كانت في دست الحكومة وزارة برئاسة سعد زغلول باشا ، وكانت الطبول ندق لمفاوضة جديدة تعزم الحكومة المصرية خوضها مع حكومة بريطانيا التي كان يرأسها وقتذاك المستر راضى ماكدونالد ، زعيم حزب العمال البريطاني ، الذي وصف بأنه صديق سعد باشا والوفد . وفي هذه الأيام وقف الحزب الوطنى يحذر من مغبة هذه المفاوضة وينبه إلى خطر الاقدام عليها . فارتفعت أصوات الحمبية والجهلاء يحصبون الحزب ورئيسه بالطوب وبالاتهام معا . وبلغ الهوس الحزبى حداً خيائياً ، فقد كانت الجماهير تهتف بسقوط السودان من أجل حافظ رمضان . . وكانت الوزارة قد تورطت في بضعة اخطاء وطنية شبيهة باخطاء الرعاع والسوقة ، فقد أبت أن تنص في خطاب العرش الأول الذى تقدمت به الى البرلمان في سنة ١٩٢٤ على استقلال السودان ، واكتفت بالوعد بالعمل على تحقيق (الأمانى القومية) . وكانت قد باركت الدستور المصرى الذى هاجمته من قبل ، وأقرت قانون التعويضات للموظفين البريطانيين الذى استغنت الحكومة عن خدماتهم بعد أن كانت ترى فيه تبيداً لأموال المصريين . وقد سجلت الخطبة التى ألقاها الاستاذ حافظ بك رمضان (حافظ باشا رمضان) رئيس الحزب الوطنى التى ألقاها في ١٩ من مايو سنة ١٩٢٤ كل هذا ، وحفظت لأبناء الحزب الجدد صورة من جهاد الحزب في ذلك الحين ، فرأينا ان نستفتح بها هذه المجموعة ، ليتصل الماضى بالحاضر ، وليفهم شباب اليوم ما دبر لقضية وطنهم من سنين ، وليعرفوا الفوارق العقلية والروحية بين رجال الحزب الوطنى ، وغيره من السياسة ، وليؤمنوا بان المدرسة الوطنية التى وضع اساسها مصطفى كامل ، تختلف في كل شئ عن المدرسة الحزبية التى أقام بناءها سعد زغلول .

*

الخطبة السياسية الجامعة

لحضرة صاحب العزة الرئيس حافظ رمضان بك

كلمة الشكر

أيها السادة ، أيها الاخوان الأعزاء :

اشكركم شكرا جزيلًا . اذ انتم لا تزالون بحمد الله مجتمعين على هدى الايمان الصحيح رغم زعازع الحوادث متآخين في الله وفي نصرته المبادئ القوية رغم الكفر بها وجحودها . متحابين متحدين تجمعكم فضيلة الاخلاص للوطن وتفرقكم رذيلة الخداع المموه بما يشبه الاخلاص .

انتم جند الحق وناصروه ، واعداء الباطل وقاهروه ، استوجبتم لانفسكم الشكر بما سعيتم الى هذا المكان ، لتجددوا عهدا تتساندون فيه لنصرة الحق ولتؤكدوا موقفكم المتعاضدون به على اعلاء كلمة اليقين ، ولتنتشروا بعد ذلك من مبادئكم الخالدة اعلام الوطنية الحققة والاخلاص النزيه ، فتخفق على ارض الوطن المقدسة .

تناولتم الدعوة الى هذا الاجتماع فحتمت مسرعين يحدوكم الاخلاص لمصر العزيزة التي فنيت في حبها ، ويؤمكم الايمان بما لها من حق لا يضيع وانتم احياء ، وواجب لا يهمل وانتم عليه قادرون ، فكانت تليبتكم الدعوة واجابتكم النداء

* نشرت في جريدة « اللواء المصري » في ١٩ مايو سنة ١٩٢٤ .

شهادة تتلون بها على الناس جميعا ان الخير لا يزال فيكم ، وان مبادئ الخلاص
والنقا لا تعدم انصارها وانتم موجودون .

العودة الى الانتخاب

علمتم اننا استأنفنا دخول المعركة الانتخابية ، فهل علمتم لماذا اقدمنا على هذه
التجربة الثانية؟ اقدمنا على الانتخابات كما اقدمنا اول مرة لاهوى نفسى ولا شهوة
ذاتية ، فقد قبرنا منذ ايامنا الاولى كل شهوة للنفس ، ودفنا كل هوى للذات .
قلبوا صحائف ماضينا وتأملوا حاضرا هل ترون فيها زلة قدم او فتور عزيمه .
شفقنا ببلادنا واتقينا الله فى وطن ليس لنا غيره ، وخفنا التاريخ فى أمة نحن من
أبنائها المسئولين عنها . اقدمنا على الانتخابات لنزداد اعتقادا اننا لم نهمل حق
الامة علينا ، ولم نقصر فى واجب لهذا الوطن الذى فرض الله علينا ان نعمل
لتحريره ونجاهد لانقاذه . ولقد ابرأنا ذمنا اول مرة ، ونحن الآن لانطمع فى
اكثر من ان نبرى ذمنا مرة اخرى .

نصح الناصحين

نعم قال النصحاء لنا هونوا على انفسكم واخفضوا من حسن ظنكم واتخذوا
لوجوهكم براقع من الخداع ولو يوما واحدا ، لتخلبوا ألباب الناس بالباطل ،
وارتدوا لباس الرياء ولوساعة واحدة لتفوزوا بتأييد الخدوعين وثقة المغرورين .
معاذ الله نتقبل نصيحة لا يراد بها الا اليسر لذواتنا ، والله يعلم اننا لا نريد
الا النصر لمبادئنا .

وهل يعلم النصحاء ان العقيدة الوطنية الصحيحة اذا ما تدنست بأدران
الضعف والرياء واذا تلوثت بجراثيم التمويه والخداع سقطت من علياء مقامها
واضاعت مفاتيح القلوب ؟ ايطلب منا الرياء والخداع نحن الذين عشنا حياتنا

نغزوا القلوب والارواح بهوى الوطن وشهوة استقلاله فلما لان لنا عود وما فترت
لنا عزيمة ؟ اطلب منا ما لا نستطيع انيائه ولا نحسن اتقانه ؟ لو يدفع النصحاء
نحن نصائحهم الخاطئة لقدموا الافلاس تدليسا .

لا لا ايها السادة ، سيروا في طريقكم طريق الصراحة والاقدام ، واعلموا
أن الفضيلة مرتع خصيب للوطنية الصحيحة ، وأن العلم مهادها الموطأ ، فخابوا
الذهيلة الممغشية حيثما وجدتموها ، قاتلوا الرياء وطاردوا التفاق ايما كان وايما كنتم .
ولتكن منكم للوطنية الصحيحة جمة متقدة ترسل اشعتها فتهدى بنورها وتكوى
بنارها ، تهدى الابرار المحلصين وتكوى الاغرار والخادعين .

أد الواجب ودع ما يكون

نعم ايها السادة تقدمنا الى الانتخابات وشعارنا دائما « أد الواجب ودع
ما يكون » تقدمنا الى الانتخابات لنسبرغور الحالة التي وصلنا اليها . نريد ان نعرف
هل زالت غشاوة الابصار والى أى حد زالت ؟ وهل انكشف الحجاب عن
الحقائق والى أى درجة انكشف ؟ نريد ان نعلم هل انعط الناس بما تتلوه عليهم
الحوادث كل يوم ، هذه الحوادث التي تنطق بنفسها ، والتي تريهم كيف تتبدل
المظاهر في من لم يعتصموا بالمبدأ الصحيح ، وفي من ساروا وراء الاشخاص
لاشخاصهم وهجروا المبادئ حيث لا مبدأ لهم . هذه الحوادث التي تقص على
الناس كيف يسهل عند من سمعوا لهم ان يتناقض فيهم الماضي والحاضر ويتنافر
في اعمالهم القابل والدابر .

مواقف الوزارة

وقعت الوزارة الحاضرة مواقف كانت في ظاهرها الى جانب الشعب ثم وقفت
بعد ذلك مواقفها وهي في دست الحكم . فهل ينكر الرجل الذي له أذن تسمع
وعين ترى وعقل يدرك وضمير يحس ويشعر . هل ينكر الرجل ذو الكرامة
والصدق ان المواقف تبدلت والاقوال تغيرت والآراء تناقضت والخطط

تنافرت؟؟ هل ينكر الرجل التزيه ان مواقف الوزارة في دست الحكم جاءت
أصديق دليل وأقوى برهان على انها لم تكن جادة في مواقفها التي ظهرت بها الى
جانب الشعب؟ وماذا ينفع الجهاد اذا كان المقصود من ورائه اسقاط وزارة
واعتلاء اخرى مكانها ما دامت سياسة البريطانيين نافذة كالسهم في صميم
الحقوق المصرية وما دامت سياسة الوطنيين الماجدين منقوضة بسياسة
المتحرفين المتمجدين؟!

ماذا يقول ابناؤنا واحفادنا يوم يقرأون صحيفة تاريخنا الحاضر ويوم تطالب
منهم واجباتهم الوطنية ان يحكموا فينا بما لنا وما علينا؟ سوف يبدو لهم ما يبدو
لنا الآن . وسوف يحكون بما نخذر الناس وننصحهم باتقائه من الآن . سوف
يتساءلون كما نتساءل في هذه الايام فيقولون ألم يعلن رجال الوزارة الشعبية يوم
كانوا ظاهرين في جانب الامة ان الدستور رجعي وانه من اعمال الاشقياء؟
ألم يروا في قانون التعويضات مال الامة مقدوفابه في البحر؟ ثم ماذا جرى
بعد ان تخلوا عن صفوف الامة وتبوأوا مقاعد الوزارة؟ اصبحت الدستور
الرجعي عصريا، واصبح المال مبدولا، كرما عجميا وسخاء عظيما .
أيها السادة :

من ذا الذي تكون له ذرة من الاخلاص ثم يستطيع ان يقول ان المعارضة
غير واجبة؟ المعارضة التي تستمد وجودها وقوتها من العقيدة الوطنية الصحيحة
وتستند في عملها الى حسن النية ونبالة المقصد وهي في ذاتها درع البلاد وسند
يعتمد عليه اولئك الذين يقولون انهم ذاهبون ثالث مرة الى الانجليز ليظفروا
منهم بالاتفاق الموعود .

الاتفاق الموعود

الاتفاق الموعود ايها السادة كلما ذكرته مثلت امامي خزانة عائلة همبير . وهي
عائلة فرنسية ورثت خزانة خاوية ثم ادعت خطأ او قصدا ، هي ومن كان معها ،

ان الخزانة مملوءة ذهباً مقنطراً ، فاستحوذت بذلك على ثقة واسعة ، وكان بعض
أرباب الحقوق في هذه الخزانة استصدروا الأوامر بغلقها وختمها . وكان
المقرضون والربويون يعلقون آمالهم الواسعة على تلك الخزانة وينتظرون فتحها
وفض اختتامها ليحصلوا على أموالهم مضاعفة بفوائدها وفوائد فوائدها . وبينما
كان هؤلاء يسيحون في أحلامهم اللذيذة كان جماعة همبير يستزيدون الثقة
لأنفسهم على حساب الخزانة ، ثم يستغلون هذه الثقة اقتراضاً للأموال وبذخاً في العيش
ولم يزالوا على ذلك أمداً طويلاً حتى اذا حان اليوم الموعد لفض الاختتام والاعغلاق
عن تلك الخزانة التي عقدت بها الآمال ، وجدوها هواء ، ووجدوا ذهبها هباء ،
ولم تسرح أبصارهم فيها في غير أوراق بالية وأركان خالية وفراغ لا يحلب يسراً
ولا يدفع عسراً .

الاتفاق الموعد ، ايها السادة ، مثله عندى كمثل خزانة همبير ، لاتزال الآمال
معلقة عليه حتى اذا جاءت ساعة فسرونه للبريطانيين مغماً ، وعليكم وعلى الامة خسراً
ومغرمًا . وها نحن اليوم نسمع همسا في الآذان من ان مندوباً ارسل خصيصاً
الى لندرة ، وان كتبنا ورسائل تبودلت بين الوزارة المصرية الوفدية وصدىقتها
الوزارة الانكليزية الماكدونالدية . ونسمع ايضاً انباء البشرى التي اعلن انها
سترف الى مجلس نوابنا متى حانت ليلة زفافها .

هكذا نسمع اليوم وغداً نسمع انباء عن المفاوضات كمثل الانباء التي
كان يسمعها الفرنسيون عن خزانة همبير . اما الذي يؤلمنا ويحزن نفوسنا فهو ان
نرى عشاق المفاوضة ودعاة الركون الى الغاصب غير مقلعين عن خطر يبصرونه
محققاً ، ولا صردين الى السلامة المكفولة والخطة المعقولة . هذا هو الذي يؤلمنا
ويحزن نفوسنا ، ولكن ما حيلتنا اذا كان سلطان الهم لا يزال محتكاً مستبداً ،
واذا كان دعاة الاستسلام لا يزالون المفاوضة عاشقين ، وبهوى المفاوضة
مغرمين ، وبحبها متيمين .

البشائر المزفونة

أيها السادة :

يزفون لكم البشرى ، او يعدونكم بانهم سيزفون لكم البشرى . فاجيبونا بما جربتم وما علمتم . اجيبونا بعقولكم وضمائركم . اجيبونا بما فيكم من رغبة في الحياة وحرص على عزة العيش . اجيبونا بما كنتم تحببونها به من كراهة الذل وبغض الاستعباد . قولوا لنا ما هي تلك البشرى التي يحملونها الى مصر ونواحيها وشعبها من وراء البحار بعد أن أعلن المستر مكدونالد خطته صريحا وعلنت بريطانيا سياستها جهره وبعد ان فتحت امامهم وامامكم خزانه القضية المصرية صرتين بفتح المفاوضات البائرة الجائرة فلم تقدم لكم الا سلاسل واغلالا . ولم تعرض عليكم الا وبالا ونكالا . افتريدون ان تنفذوا لها ارادتها فيكم وقد علمتم انها لا تريد الا ان تأخذ منكم صك العبودية ثم تقول اذهبوا ايها العبيد فقد سكنتم من أملاكى أرض مصر فأنتم فيها عمال ضيعة ترقبكم عينى وتخضعكم اشارتى وتستوجبون تأديبى اذا نقضتم ما ابرمتم أو عصيتم ما رضيتم ... ؟

ما هي تلك البشائر التي ننتظرها بعد ذلك وقد كانت بشرانا فى يدنا . كانت بشرانا الجديرة بنا وبكرامة موقفنا فى أول عهدنا النيابى الاخير ان تعدل خطبة العرش تعديلا تفرح به البلاد وتطرب له . ولكن الوزارة الوفدية التي ستحمل البشرى من لندرة الى مصر أبت ان يمس الخطبة اى تعديل او تفسير او ما يشبه التعديل او التفسير . أبت الوزارة الوفدية ان تنص نصا صريحا يحدد بالدقة والمفاوض مطالبنا الثابتة المشروعة ويقيده بهائم نترست بعبارة « الامانى القومية » ولجأت فى تبرير عملها الى وجوه شتى من المغالطة .

حقيقة الامانى القومية

أيها السادة :

قالوا الامانى القومية . تحدثوا عن الامانى القومية . اتخذوا الامانى القومية

في خطبة العرش عنوانا لما يطلبون ، إسما لما فيه يفاوضون . فانظروا أيها السادة ما هي الأمانى القومية حقاً . انظروا معنا لنرى هل الأمانى القومية بالمعنى الذى تعرفها به شعوب الارض جمعاء مما يحتمل الاخذ والرد ويجوز فيه العرض والطلب ؟ الأمانى القومية في الواقع كما يجب ان تكون للشعب هي مستحقة ضمايره ومكتونات سرائره . هي الآمال الفياضة بين جوانح الأمة . هي النعم السابغة لا مقطوعة ولا ممنوعة . هي المشتبهات المحبوبة للانهائية . هي المحبوبات الروحية الرائعة المقدرة في جلالها وعظمتها بمقدار ما لنفس الامة من عظمة وجلال . هي المطامح المتزاوية في سموها وبهائها الى اقصى ما تترامى اليه عزة نفس الأمة وأباؤها . تلك هي الأمانى القومية التى يقدرها كل شعب لنفسه ويعرفها في ميوله وغرائزه . فهل يصح ان تكون هذه الأمانى القومية — اذا كانوا يريدونها بهذا المعنى — موضعاً للمناقشة والجدل . وهل هي صالحة في ذاتها ان تكون مثاراً للبحث والمناظرة . ومجالاً للمشادة والمهاترة ، هذه هي الأمانى القومية . فاذا كانوا يريدونها حقيقة فليطمئنوا وليهدأوا بالا لأنها بين الجوانح لا تمتد اليها يد الغاصبين ولا تصل اليها قوة العالمين .

كلا أيها السادة . لا تصدقوا هذا السحر الذى يلقونه امامكم . ولا تركنوا الى تلك التعاويذ والرقى التى تنظرون وتسمعون . فما من أمة هبط روحها المعنوى الى الخضيض الذى يجعل أمانيتها القومية محدودة بنهاية مرسومة ببداية ويلقى انكاسها في ادراك أمانيتها على سواها فضلاً عن غاصبها . ما من أمة هبط روحها المعنوى الى هذا الخضيض الا ذهبت ريحها وخاب نصيحها .

ان الشعب هو الذى يعمل لئلا يبلغ أمانيه فيجب ان يحفظها بين اضلاعه ويصونها بين جوانحه وان يجد ويدأب لتحقيقها غير معتمد في ذلك على سواه .

حقيقة القضية المصرية

أيها السادة :

خبرونى اية أمة او أى شعب مستقل وضع أمانيه موضع البحث السياسى

امام حكومة اخرى؟ ليست قضيتنا قضية آمال وأمانى . وانما قضيتنا ضد الانجليز قضية سياسية . قضية حقوق ثابتة . قضية مغضوب ضد غاصب دخل البلاد لافاتها ولا غازيا وأقام في ارض الوطن لا منتدبا ولا موكلا او بقى على ضفاف النيل بغير رضانا فلم تفتّر أسفنتنا عن الاحتجاج على بقائه . بل قضيتنا قضية حق طالما اعترف بها الغاصب المعتدى وطالما قال ان احتلاله مؤقت ووجوده استثنائى وان موعد جلائه قريب .

قضيتنا أيها السادة قضية حقوق محدودة معينة . قضية تقوم على طلب الجلاء وتسند الى تجرد الغاصب عن كل صفة تجعل له مركز امتياز او حقوقا خاصة ، هذه هي قضيتنا كما هي في الواقع وكما يجب أن تكون دائما وكما يجب ان نفهمها ونفهمها للناس جميعا ، واذا كان الاساس للقضية المصرية هو الحرص على اركانها من الحقوق الثابتة المشروعة فكيف يجوز لنا ان نخرج من دائرة هذه الحقوق لندخل دائرة الامانى فيصبح مثلنا مع الانجليز مثل الهند وارلندا ومثل كندا واستراليا .

غرضنا من تعريب خطبة العرشى

لقد القينا منذ زمن قريب خطبة اثبتنا فيها ان سياسة الاستعمار البريطانية مصالحة في الابهام والغموض . فمصلحتنا نحن يجب ان تكون بعيدة عن كل غموض وابهام ما دمننا طاب بحق ثابت يراه كل ذى عينين . وأبنا ايضا كيف ان السياسة الاستعمارية سلكت طريقا جديدا للتغريب بالام التي اوقعها سوء الطالع في مخالفتها فعملت تلوح لها بعبارة « الامانى القومية » كمرآة تنعكس فيها الصور الجميلة وهي لا تقصد بها غير الحكم الذاتى او ما هو ادنى منه . وقد سقنا من الادلة على ذلك مستندات رسمية من تقارير ملتر وكيرزون والمارشال اللبني وغيرهم . ورجونا نوابنا وكل من يعالجون قضيتنا ان يذكروا الاستقلال صريحا باللفظه ومعناه . والجلاء علانية

بحروفه ومبناه . وان يحذروا كل اعتراف او شبه اعتراف بالمركز الممتاز !
الحقوق الخاصة التي اخذت انكلترا تدعيها وتستدرجنا للاعتراف بها . بسطنا
هذا الرجاء امام نوابنا وكل من يعالجون قضيتنا حتى لا يردوا باليد اليسرى
ما يأخذونه باليد اليمنى ، ولكن ماذا كان الجواب بعد هذا الرجاء ؟

أجابونا بلسان النحاة ومن كتب النحو لا بلسان الساسة ولا من كتب
السياسة ... أجابونا ان الأمانى جمع أمنية وان الأمنية فى اللغة ما يتمناه المرء وانه
لا يشك أحد فيما يتمناه المصريون ١٠٠ بخ ١ بخ ١٠٠

لقد كان همنا من تعديل خطبة العرش النص على الاستقلال التام لمصر وسودانها
فى المكان الذى ذكروا فيه مهمة المفاوضين . وعمل الوزارة ومطلبها . كان همنا
من هذا التعديل منصرفا الى الدفاع عن حياة البلاد لا عن حياة لغة البلاد . فقد
دافعنا عن لغتنا يوم كان غيرانا يحاربها ويطعننها فى كبدها . ولكن هل اغناهم
شيئا التجاؤم الى النحاة واللغويين ؟ وهل امنوا الاتخذهم اللغة نفسها فيما طلبوه
منها ؟ لقد جاءت الأمانى فى الذكر الحكيم بمعنى الا كاذب : قال الله تعالى فى
شيوخ احدى الامم الغابرة : « ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب إلا أمانى وإنهم
إلا يظنون » فالأمانى هنا هى الأ كاذب التى تلقوها عن رؤسائهم . وفى آية
أخرى : « يهدم ويمنيهم وما يهدم الشيطان إلا غرورا » . وقال كعب بن زهير :
فلا يغرنك ما منت وما وعدت إن الأمانى والاحلام تضليل
أيها السادة :

هذا بحث لا طائل تحته بل هو سفسطة تدخل فى باب المجادلات البيزنطية .
فما لنا وللبحث الضائع والسفسطة الباطلة . نحن فى موقف جد لاهزل . فى موقف
يجب علينا فيه ان نعلم الحقيقة من مركز بلادنا لنستطيع ان نضع خططنا
السياسية صحيحة تؤدىنا الى السلامة ولا تعقبنا خزيا ولا ندامة .

يبينا فى خطب سالفه نظرية المركز الممتاز والصوالم الخاصة التى تدعيها
بريطانيا ، ويبينا مواطن الخطر الداهم فيها ووضعنا خططنا على تجريد الغاصب عن

كل صفة تجعل له مركزا ممتازا او صوالح خاصة . فاسألوا غيرنا عن رأيهم في هذه الصوالح وهذا المركز ستسمعون ما ألقم أن تسمعه من بريطانيا ، وستردد لكم عبارة الضمانات المعقولة والتوفيق بين صوالح بريطانيا وأمانى المصريين القومية ، وستفتح أمامكم أبواب التضليل على مصارعها ثم نخوضون غمار المناقشات الجدلية وتخرجون منها كما خرجتم من مناقشات مشروع مائت متقائلين متدابرين . لقد سمعتم بعض ما كان منتظرا . قالوا أخيرا في مجلس النواب أن غابتم من المفاوضات تحقيق مبدأ الاستقلال لمصر والسودان ، ولم يتكلموا لا عن الجلاء ولا عن المصالح الخاصة التي تدعيها بريطانيا وهذا القول الذي أعلنوه أخيرا هو القول الذي أمتنعوا عن تعديل خطبة العرش به وهو الذي هددوا بالاستقالة اذا ادخله النواب في صورة تعديل على خطبة العرش . ولكن لماذا نطقوا اليوم بما كرهوه أمس . أكان الحرص على الخطبة بفصلها ونصها لان اللورد اللبني كان قد اطلع عليها وعدلها كما أذاع الانجليز في صحفهم بعد ذلك ؟ اننا لا ندرى سر هذا التناقض الغريب في هذا الزمن القريب .

صورة مخزية

أيها السادة :

أريد الآن أن أحدثكم عن بعض ما أصاب الحزب الوطنى من المحن في الفترة الحاضرة . واذا حدثتكم عن هذه المحن فلا أحدثكم عن شيء مما جعل به للناس أنفسهم أبطالا . وصار به أشباه الرجال رجالا . لا أحدثكم عن محن الحبس والنفي والامة قائمة وراء المحبوسين تطلب أطلاقهم والشعب صارخ خلف المنفيين يطلب اعادتهم . وليكنفى أحدثكم عن محن أصابت الوطنية البريئة في أعز شيء لديها وأدمت قلب الوطن بما أصابه من عقوق الطائشين . أحدثكم عن ذلك القطيع الابله الذى سار كظاهرة تردد الهتاف بسقوط السودان . أحدثكم عن هذه الضلالة التي نعددها محنة وإن كانت الامة لم تفرط في انكارها وتشديد النكير على من دبروها ، فلم تبق هيئة ولا صحيفة الا أعلنت سخطها عليها واحتقارها لها .

تعد هذه الضلالة سخنة لان كل حركة لنا مبصرة وكل حسنة مسموعة
وغاصبنا الساحر صرّف الآذان مشحوذ القلم واللسان . يفسر حر كاتنا لمصاحبه
وينقل اعمالنا لعائده .

قولوا لهؤلاء البلهاء ما ذنب السودان ؟ بل ما ذنب مصر التي تريدون أن
تطيحوا رأسها من فوق كتفها وتنزعوا قلبها من بين جنبيها .

قولوا لهم إن مصر بغير سودانها تصبح مصر بغير فيلها . ومصر بغير النيل
صحراء جرداء . لا يذبت لها زرع ولا ينبع فيها ماء .

بل قولوا لهم من أنتم أيها العجزة حتى تستطيعوا أن تقطعوا ما أرادت
الطبيعة أن يوصل ؟ ! وأن تفرقوا بين ما ربطت علاقة اللغة ووحدة العنصر
ورابطة الدين أن يجمع .

قولوا لهم ان كنتم من بنى الانسان تعالوا الى الحزب الوطنى يعلمكم أناشيد
الوطنية ويلقنكم تعاليمها عن أسانذتها ، أما ان كنتم من الشياطين والاباسة فلا
شأن لنا بكم فقد حق عليكم أن تهتموا بما تشاءون بسقوط السودان وأن تطالبوا
جفاف النيل حتى تصبح مصر تلك الجنة الغناء قاحلة لا تصلح سكنى لبني البشر
وانما تصبح مأوى للشياطين أمثالكم ومرتعاً للاباسة إخوانكم .

للبرزخ المبرأ الصليح

أيها السادة :

اقدمتنا على الانتخاب بعد ان شرحنا آراءنا وبراأنا ذمنا وما كان يفرحنا
نجاح ولا يروعنا فشل على اننا لا نفهم لماذا تكون الهزيمة في الانتخابات لنا ؟
ولماذا تكون الهزيمة لمن آلوا على انفسهم أن يعملوا لاداء الواجب نحو وطنهم ؟
ولماذا لا تكون هذه الهزيمة لمن يفرطون في حق الوطن فلا يسمعون نصيحا
ولا يهتدون سبيلا ؟ ان كانت هناك هزيمة فستكون لتلك النفوس التي قدت من
الصخر فلم تعمرها المبادئ الوطنية القوية . ستكون الهزيمة لتلك القلوب الضعيفة

التي تفقه ما نقول وتجن رباء عن العمل به . تلك القلوب التي حرمها الله نعمة
الايان الوطني الصحيح . ستكون الهزيمة لاولئك الذين وضعوا خلف آذانهم
مبادئ الحزب الوطني ، مبادئ الحياة الشريفة ، مبادئ العزة والمجد ، مبادئ الحرية
والجلاء ، وسيكون مثلنا معهم كالمهند المصقول فهو في يد الشجاع آلة ظفر واداة
نصر وقهر . في يد الجبان عود مرضوض وغزل منقوض ولن يضيرنا في هذا
شيء ، فسنكون وإياهم كما قال الشاعر :

تقلدني الليالي وهي مدبرة كأنني صارم في كف منهزم



بريطانيا بين الاستعمار والروح العالمية

نشرت جريدة «الأهرام» في العدد الصادر بتاريخ ٩ من يناير سنة ١٩٤٧ ما يلي :

الموقف السياسى والموقف الوزارى

المقترحات البريطانية لا تبشر بأمل — تصريح لرئيس الحزب الوطنى

تصريح رمضان باشا

كنا قد أشرنا أمس إلى مقابلة سعادة الأستاذ حافظ رمضان باشا ، رئيس الحزب الوطنى ، لدولة رئيس الوزراء للتشاور فى الموقف الحاضر ، وقد جرى لمندوب « الأهرام » حديث مع حافظ باشا عن رأيه فى المسألة المصرية ومشكلة السودان وسياسة الانجليز اليوم . فأفضى سعادته بتصريح استمله بقوله :

مؤثرات السياسة البريطانية

يخيل إلى أن السياسة البريطانية فى الوقت الحاضر تسير بين عاملين : فكرة الاستعمار القديمة ، وتطور العالم فى وقتنا الحالى . ولهذا نراها تتردد بين هذين العاملين ، ويلوح لى أن تلك السياسة سترتكب أخطاء كثيرة ، وأنها تتردد بين العاملين المتقدم ذكرهما ، فلم تستطع حتى اليوم أن تنفض شيئا من مشكلاتها العديدة .

تدابير الانجليز مع مصر

أما فيما يتعلق بمصر فلا ريب عندى فى أنها أخطاء ، وأنها لا تزال ترتكب الأخطاء فوق الأخطاء ، فمن ذلك تعلم أن دولة رئيس الحكومة الحاضرة كان مؤيداً لمشروع صدقى — بيفن ، وهم الآن يقفون فى وجهه فى مسألة السودان ، ويرتكبون الأخطاء الناجمة عن فكرة الاستعمار البالية القديمة باتخاذ إجراءات لا تمت بأية صلة إلى القانون أو الشرع أو العدالة فى شىء .

لبسوا أوصياء ولد متبرين

فمسألة السودان مثلاً مسألة اعترف فيها ممثلو بريطانيا منذ عهد اللورد كرومر ثم فورست وكتشتر بأن السودان جزء من مصر لا يتجزأ ، واعترفت الوزارة البريطانية بذلك بل أعلنته فى حادث (فاشودة) المعروف .

وبالرغم من هذا كله فقد تغلبت الفكرة الاستعمارية تحت ستار واه لا قيمة له عند رجال السياسة ، وهو أنهم يريدون استقلال السودان .

وأول ما يتبادر إلى الذهن : من ذا الذى أعطاهم حق التكلم باسم السودان ؟ فليست لهم وصاية ولا انتداب على تلك البقعة من الأرض وكل سياستهم الماضية كانت تدور حول اعتبار السودان جزءاً من الأراضى المصرية ، حتى أن معاهدة ١٨٩٩ المشنومة والباطلة شرعاً ودولياً لم تتعرض إلا لإدارة تلك البلاد ، وفسرها ممثلوها هذا التفسير ، وهم جميعاً يعتبرون السودان ومصر كلا لا يقبل التجزئة .

فلنعلم بطور المأهرنين

وهنا سأل المندوب حافظ باشا عما يشير به إذا أصرت الانجليز على المضى فى خططهم العملية لفصل السودان عن مصر والخطوات الايجابية التى يرى أن تتبعها الحكومة . فقال سعادته :

« لقد صرحت برأى في ذلك أكثر من مرة ، على أنى أريد هنا أن أعرض
بالإيضاح لبعض نقاط لم أشأ أن أعرض لها قبل الآن ، ولكننى وقد أرى فشل
تلك المفاوضات أوضح شيئاً من هذه المسائل الهامة .

فأولاً : لا يصح لنا أن نطالب بطلان المعاهدة ، لأن هذا الطالب يقتضينا أن
نتوجه إلى هيئة أو محكمة دولية لتقضى لنا بهذا البطلان ، وإنما يجب علينا من
ناحيةنا بطلان معاهدتى ١٩٣٦ ، ١٨٩٩ .

وهذا جائز دولياً ، وإن لم يكن لنا من أسباب هذا الاعلان غير ما كررته
بريطانيا نفسها ، ووافقها عليه مجلس الأمن في حادث إيران وروسيا ، وهو أن
كل اتفاق يحدث في ظل احتلال أجنبي يقع باطلاً . . . أقول إذا لم يكن لدينا
غير هذا السبب لحق لنا أن نعلن البطلان دون الرجوع إلى جهة ما لتقضى
لنا بالبطلان .

ونعرض طلب الجلاء ومعه

وثانياً : أن نعلن طلب الجلاء وحده على مجلس الأمن باعتبار أن بقاء
الاحتلال البريطانى بغير رضائنا بعد إعلاننا بطلان المعاهدة لا يتفق وميثاق الأمم
المتحدة ، وأنت تعلم أن هذا الطلب يتكرر كل سنة عند الاقتضاء .

واختتم رئيس الحزب الوطنى كلامه بقوله : « ولا أخفى عليك أنه حينما
يطلب إلى المساهمة في الدفاع عن هذه القضية إذا قضت الظروف بذلك ،
وفي اعتقادى أنها ستقضى بذلك عاجلاً أو آجلاً ، فانى لن أنردد لحظة في ذلك .
فهذه القضية قضية لو وكل أمر الدفاع فيها إلى أقل المدافعين كفاية وعلماً بها
لقام بواجب هذا الدفاع خير قيام » .

* حفظ مصر من النجاش في هيئة الأمم المتحدة

أرسل سعادة الاستاذ محمد حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى الى جريدة « ليوند » بباريس ، بالمقال التالى ، وهذه ترجمته :

صبح ما توقعه الحزب الوطنى فقد انتهت المفاوضات بين مصر وانجلترا الى مآزق بذات الجهود طيلة اشهر للخروج منه ولكنها بذلت سدى فاضطرت مصر الى ان تسلك سبيلا آخر لتحقيق أمانيتها القومية ، ويجب علينا التدرج بالصبر وصدق العزيمة اذا أردنا التغلب على خصمنا فى النضال الذى كتب علينا خوض غماره لأن هذا النضال سيكون طويل الأمد مريراً .

أدركت انجلترا أن لا بد لها من العدول عن سياستها الاستعمارية التقليدية ، ولكنها مع ذلك تأبى الاذعان عن طواعية لما يقتضيه تطور الشعوب ونفرضه المبادئ التى ولدتها النهضة الفكرية عقب الحربين العالميتين ، فاذا دخلت مفاوضات سياسية كالمفاوضة فى المسألة المصرية ، أعوزتها تلك البراعة التى طالما مهدت لها سبل النجاح .

ومن الأمثلة على تعثر سياستها أنها جعلت السودان موضوع التفاوض بينها وبين مصر ، وقد ظنت انها تخدع العالم بادائها الذود عن حق السودانين فى الاستقلال ، كأن العالم يجهل انها لا تبغى من وراء ادائها هذا إلا بسط سيادتها المطلقة على السودان .

غير أن حجة مصر فى هذه القضية حجة لا تنقض . فبأى حق تتكلم بريطانيا

* عدد الاهرام الصادر فى ١٩٤٧/٢/٣

عن السودان ، أى مؤتمر اوربى ، أى قرار من عصبة الأمم أو من هيئة الأمم المتحدة قد خولها هذا الحق ؟

وهل يكفيها. أنها فرضت علينا اتفاق سنة ١٨٩٩ لتدعى بالحق فى أقصائنا عن السودان ، وكل ما يبيحه لها ذلك الاتفاق الاشتراك معنا فى ادارته ؟

من فضول القول الرجوع الى جميع المستندات والعهود والقرارات التى تقيم الدليل على شرعية المطالب المصرية بشأن السودان ، وحسينا التسوية بالحجة التى تذرع بها لورد كيتشنر إذ طالب القومندان مرشان بالجلاء عن « فاشودة » فقد قال ان هذه الارض مصرية وانه يخاطب القومندان مرشان باسم خديوى مصر ، اذن كانت فاشودة أرضا مصرية سنة ١٨٩٨ ، باعتراف لورد كيتشنر ، وفاشودة واقعة فى قلب السودان ، فكيف لا تكون اليوم مصرية ما دامت مصر لم تنزل عن السودان فى أية معاهدة من المعاهدات ؟

وجاء بعده سياسى بريطانى لا يقل عنه شهرة ، هو لورد كرومر ، فلم يحجم فى جميع تقاريره التى رفعها الى وزارة الخارجية من سنة ١٩٠١ الى سنة ١٩٠٦ ، عن الاعتراف بأن وحدة وادى النيل باقية من المبادئ الأساسية لسياسة مصر . وقد عقب فى تقريره الاول على عقد اتفاق سنة ١٨٩٩ فقال : « لقد اتاحت هذه الوسيلة لمصر أن تؤمن الشطر الثانى من ارضها شر الامتيازات الاجنبية وعواقبها الوخيمة » . فأى اعتراف بتلك الوحدة اصرح عبارة من ذلك الاعتراف ؟

واعترل لورد كرومر منصبه فى مصر خلفه فيه سير الدون جوست ، ثم لورد كيتشنر نفسه فلم يجرؤ واحد منهما على منازعة مصر هذا الحق ، وكان مثلهما أحرى بحفز الحاكم العام للسودان اليوم إلى أن يتوخى المزيد من التحفظ والاعتدال فبأى حق يوجه السياسة السودانية وجهة عدايمة لمصر ، وهو يستمد سلطته من مرسوم اصدره ملك مصر ؟ أيستند الى هذا المرسوم فى شن حملته على مصر ؟ كان سلاتين باشا قد عين قبله حاكما لشطر من السودان بمرسوم اصدره الخديوى

وكان سلاتين باشا نمساويا . فإذا كانت انجلترا قد صنعت لو أنه غنم فرصة تعيينه في هذا المنصب فحاول ضم السودان الى النمسا ؟

علينا اذن ان نغيبط بأن انجلترا قد اختارت مسألة السودان وسيلة لاحباط المفاوضات .

ولكن المصريين يخطئون اذا ظنوا أنه يكفيهم لكسب قضيتهم أن تكون قضيتهم عادلة فليذكروا أن خصمهم شديد المراس وانه الفارس المجلى في ميدان السياسة الدولية ...

ومن حسن طالعنا أن عدالة قضيتنا ليست بسلاحنا الوحيد ، فبلادنا ملتقى لثلاث قارات ، ومن ثم تنقسم مسائلها بطابع دولي ظاهر للعيان ، وكان من أخطائنا أننا كثيرا ما أغفلناه في معالجة شئوننا الخارجية ، مع أن دولية مسائلنا مبعث قوة ، ولعلها أبرز عنصر من عناصر قوتنا اذا أحسننا الاستفادة منها . ولا صراة أن انشاء هيئة الامم المتحدة وبعث المحكمة العليا في لاهاي قد يجعلان من هذا الطابع الدولي عاملا بعيد الأثر . فمن ألزم واجباتنا البحث جديا في وسائل استغلاله على أوسع مدى .

تدل الابحاث التي عمد اليها الثقات من أهل الفقه على أن الاحرى بمصر رفع قضيتها الى هيئة الامم المتحدة دون مجلس الامن . وهذه الهيئة تتألف من اثنتين وخمسين دولة ، والمأمول أن تغاصرنا أمم كثيرة منها : فلامريكا الجنوبية عشرة أصوات اذا ضمت الى أصوات الأمم العربية ألفت معها مجموعة ذات شأن يذكر ، وهل تضمن علينا ايران وتركيا بصوتيهما ؟ يقال ان السلطات المصرية قد أخطأت في سياستها حيال هاتين الدولتين الشرقيتين على ما بيننا وبينهما من أواصر الود والصداقة غير أن هذه الاخطاء سهلة الاصلاح ، فاذا بادرنا الى محو أثرها كفلتنا تأييد إيران وتركيا لقضيتنا .

والشائع أن الانجليز والروس يتفاوضون لحسم نزاعهم ، وتجنب ما ينشون من تصادم سياستهم في مداولات هيئة الامم المتحدة ، فاذا تم هذا الاتفاق فهل

يحفز الدول السلافية الى الاقتراع ضدنا ؟ ذلك احتمال من العسير تصور وقوعه
ولكن يجب علينا السعى لدفعه بمفاتحة الدول السلافية منذ اليوم في شأن قضيتنا
وافهام الصقلية أننا مع استمساكنا بمبادئنا الدينية ونظامنا الديمقراطي ، على
استعداد للتعاون مع الاتحاد السوفيتي وبلدان أوروبا الشرقية الملتفة حوله فيما بقي
من ميادين العمل ولا سيما الميدان الاقتصادي .

والهند في جانبنا ولكن علينا أن نكفل صوت الصين أو نكفل على الأقل
أمتناعها عن الادلاء بصوتها عند الاقتراع ، أما الولايات المتحدة ، ونفوذها في
هيئة الأمم المتحدة أظهر من أن يعرف ، فلا أظن من بذل الجهد في غير طائل
مناشدتها العون بالعدل والحرية ، وهيات أن أهون من متانة الصلات القائمة بين
انجلترا والولايات المتحدة الامريكية ، ولكني ما زلت أعتقد أن مندوبي
الولايات المتحدة اعلم بقدر بلادهم في أعين العالم طراً من أن يفضوا الطرف عن
الصدمة الأدبية التي تقضى على آمال الملايين من البشر إذا انحازت الولايات المتحدة
الى جانب الاستعمار .

بقيت الكتلة الغربية الاوربية وعلى رأسها فرنسا . وفرنسا صديقة مصر من
قديم الزمن وهي تمت إليها بأسباب لا تقوى على فصم عراها ، ولئن كانت الحوادث
الآتية التي وقعت في دمشق قد كدرت صفاء ما بيننا من الود في يوم من الأيام ،
فسرعان ما صحح الجو بعد أن ظهر صدق فرنسا في سلوكها اللاحق وبادرت
بالوفاء التام بالعهد الذي قطعه من تلقاء نفسها للبنان وسوريا ، فلا يقلقنا اليوم من
الشؤون المتصلة بسياساتها حيال الأمم العربية إلا حالة أفريقيا الشمالية . وأملنا ،
وقد تألفت الحكومة الفرنسية الجديدة ، أن توفق فرنسا الى حل يحسم أسباب
الشكوى في تلك الأقطار ويحقق لها ما تصبو اليه من العدل والحرية . ولا صرية
أن السبيل الى هذا الحل ليس غلظة النقد أو لذعة السب ، فمن خطئ الرأي أن
نجبه السياسة الفرنسية بقوارص الكلام ، وما قوارص الكلام إلا مدعاة لتصاب
السياسة الفرنسية وتنفيقر فرنسا من المصريين وسائر العرب .

والرأى أن المحادثات الودية والمساعى المتتمة هي الكفيلة بأن تظهر لفرنسا
ما تغنمه من الاستجابة لرغائب إخواننا أبناء أفريقيا الشمالية ، وما نعلقه نحن من
عظيم الشأن على اصلاح شؤونهم وتأمين مصيرهم ، فتستيقن فرنسا أن فض المشكلة
الخاصة بأفريقيا الشمالية يزيل كل عقبة في سبيل التعاون الصادق بينهما وبين
العرب قاطبة ، فينمو هذا التعاون وبتشعب في جميع الاقطار العربية لانه يحقق
مصالح حضارتنا المشتركة .

فبعد أن نأخذ الامر أهيمته يمكننا الذهاب باطمئنان الى هيئة الامم المتحدة
وبديهي أن نجاح قضيتنا رهن بالاستعداد للدفاع عنها !



* من لهم صنائع الانجليز في مصر والسودان

حديث لحافظ رمضان باشا

حافظ رمضان باشا ، زعيم الحزب الوطنى ... هذا الحزب الذى ظل وحده ينادى بالجللاء ، فكانت الاحزاب كلها اتهمه بالخبال ... ثم ما لبثت أن رددت صيحته .

قلنا لحافظ باشا : إن الحوادث تدعوك إلى الكلام .

فقال : ولكن المرض يدعونى إلى الصمت ... وروى قصة ساقه المكسورة ، وكيف أنه ذهب إلى القرافة ليشاهد مقبرته ، فلما نزل إليها زلت قدمه واصيبت بكسر وتعقرت بالتراب ، فتلقت إلى التراب وقال : لقد جئت اليوم لأشاهد (التربة) فقط ، ولكن يظهر أنك فهمت خطأ أنى جئت لأدفن فيها ! واستطرد حافظ باشا فقال :

إن أعم ما ينبغي أن يفهمه المصريون بعد ما قرروا عرض قضيتهم دوليا أن كل دعوة إلى اليأس من نجاح هذه القضية هى دعوة انجليزية بحجة ، وعندى ما يحمل على الاعتقاد بأن ما قيل من أن هناك مساعى ووساطات لاستئناف المفاوضات بين مصر وبريطانيا كان بتعريض السياسة البريطانيين . ولست أقول ذلك استنتاجا ، ولكن أقوله عن علم ، وأظن أن رجالنا المسئولين يعلمون ذلك أيضا .

ولا يخفى الشك فى أن الحكومة الحالية لن تتأثر بهذه المساعى ، وإن تبنى

* عدد آخر ساعة رقم ٦٤٣ — ١٩ فبراير سنة ١٩٤٧

عن المضى في طريقها - الذى أعلنته ، فكانت بذلك أول حكومة مصرية وقفت
في وجه إنجلترا بشجاعة وإيمان ، وقررت قطع المفاوضات وعرض قضية مصر
على الدول .

وقد أدركت إنجلترا ما سيكون لهذه الخطة السليمة من نجاح لقضيتنا فشنت
حرب أعصاب على الحكومة التى قامت بهذا العمل وأسمتها حكومة أقلية .
قلنا : ولما كنا سمعنا أنك تؤيد هذه التسمية .

فقال : ليس هذا صحيحا لأنى لست إنجليزيا ... وأنى لأعجب كيف تدعى
إنجلترا هذه الدعوى والمعروف فى القوانين الدولية ان كل حكومة تعترف بها
الدول الاخرى تصيح حكومة شرعية . ولا ريب فى أن حكومات النظام الحاضر
قد اعترفت بها الدول كلها ... اعترفت بها عند ما أعلنت الحرب ، وعند ما
اشتركت فى ميثاق سان فرانسيسكو ، وفى هيئة الأمم ، وفى محكمة العدل الدولية ،
وفى مجلس الأمن ، واعترفت بها إنجلترا عند ما فاوضتها ، ومن عجب الا يدرك
الإنجليز أن حكومتنا حكومة أقلية إلا عند ما قطعت المفاوضات ... فهل كانوا
يصيحون هذه الصيحة لو أن الحكومة قبلت مقترحاتهم .

قلنا : ألا يمكن أن يرسلوا صيحتهم هذه الى مجلس الأمن أو هيئة الأمم المتحدة
إذا ما تولت الحكومة الحاضرة القضية بنفسها .

فقال : انهم لن يستطيعوا ذلك لأن الحكومة معترف بها دوليا كما قلت لك ...
ولو جاز ذلك — وهو غير جائز قطعاً — فقد جازلنا ان نطعن فى حكومة العمال
بأنها حكومة أقلية ، وأنه لو جرت الآن انتخابات جديدة فى إنجلترا لفقد العمال
أغليبتهم ... ولو أخذنا بهذه النظرية لما استطاعت حكومة فى أية بقعة من بقاع
الأرض أن تمثل بلادها إلا على أثر انتخابات جديدة مباشرة وهذا مستحيل !
إن حقيقة الامر هى أن الحكومة البريطانية تدعى أن (السير) مصطفى النحاس
باشا له الأغلبية فى مصر ، وأن (السير) عبد الرحمن المهدي باشا له الأغلبية فى

السودان ... وستظل الدعوى قائمة لأن مصالحتهم تقتضيها ، فإذا تحققت هذه المصلحة على يد (سير) آخر في مصر أو (سير) آخر في السودان فإن الانجليز سيهدلون عن دعواهم ، أن مصطفى النحاس له الاغلبية في مصر وأن المهدي باشا له الاغلبية في السودان .

إن أبناء وادي النيل يطلبون التحرر من الاستعمار البريطاني ، وهم يرفضون التعاون مع الانجليز ويصرون على الالتجاء الى الهيئات الدولية ، والحكومة التي تحقق هذه المطالب هي حكومة البلد ، ولو لم يكن لها حزب على الاطلاق .

قلنا : هل نفهم من هذا أنكم ستشتركون في الهيئة السياسية .

فقال : لقد قبلت الاشتراك في هذه الهيئة لأن ذلك سيمكنني المساهمة في خدمة القضية المصرية .

وقلت للنقراشي باشا : انا معكم ما دام هذا هو غرض الهيئة أما اذا تطورت الى هيئة مفاوضات فاني لست معكم .

قلنا : ألا تخشى حين تعرض قضيتنا ان يطعن بعض المصريين في تمثيلها لهم ، فيكون ذلك ضارا بالقضية ؟

قال : اذا حدث هذا فانه سيكون حجة على الانجليز ، سنقول للدول انظروا ما صنع الاستعمار بنا ... لقد جرد بعض رجالنا من الوطنية وذلك شر ما يوصم به المستعمرون .

إن واجبنا يقتضي ان نساهم في خدمة قضية البلد ، وأن نشد أزر الذين يتولون عرضها ، فان كانوا ضعافا قويناهم بالعمل معهم . وأنا مستعد لأن أؤيد كل مصري يتولى الدفاع عن قضية مصر أمام الهيئات الدولية ، لأن هذا واجب ، وليس في استطاعتي أن أنحلي عن الواجب .

* حافظ رمضان باشا ينصح النحاس باشا

نشرت مجلة « آخر ساعة » في عددها الأخير حديثا اسعاده الاستاذ حافظ رمضان باشا زعيم الحزب الوطنى رد فيه على دعوى الحكومة الانجليزية أن الحكومة المصرية حكومة أقلية . وقال : أن حقيقة الأمر أن الحكومة البريطانية تدعى أن « السير » مصطفى النحاس باشا له الأغلبية في مصر . وأن « السير » عبد الرحمن المهدي باشا له الأغلبية في السودان ... وستظل تلك الدعوى قائمة لأن مصلحة الانجليز تقتضيها ... الى آخر ما جاء في حديثه :

وقد هاج هذا الحديث صحيف الوفد ، فهاجمت حافظ رمضان باشا وقالت إنه عجوز يتصانى ! وأنه من صنائع الانجليز ...

وقد رأى حافظ باشا لهذه المناسبة أن يزيد موقفه شرحا ، وأن يتوجه بنصيحة خالصة إلى النحاس باشا ، فكتب الكلمة التالية « لأخبار اليوم » . قال حافظ باشا : ليس من عادتي أن أتعرض لأى فرد كان ، زعما أو غير زعيم ، ولا أن أجرح إحساسه في دفاعى عن قضية مصر ، ولكن عند ما تتخذ السياسة البريطانية من أخطاء بعض مواطنينا أو بعض هيئاتنا نكداة لتنفيذ أغراضها الاستعمارية ، واثارة الافتراءات الكاذبة بكل قوة ، ولا أبالى إن كان دفاعى يس من قرب أو بعد أية هيئة أو أى فرد ، لأن الدفاع عن الوطن يجب أن يرتفع فوق كل اعتبار . قد قررت الحكومة المصرية قطع المفاوضات والاتجاه الى الهيئات الدولية ، وكان هذا عملا وطنيا ، أشعر الحكومة الانجليزية بفشل سياستها الاستعمارية

* نشرت بأخبار اليوم بتاريخ ٢٢ فبراير سنة ١٩٤٧

هذه المرة في مصر ، فرأت أن تتخذ من سلوك بعضنا وسيلة للقول بأن هذا العمل
الوطني جاء من أقلية في البلاد لا يعبا بها ... فكان واجبا على أن أرد هذه
الافتراءات لأنها في الواقع موجهة الى بلدى ، لا الى الحكومة الحاضرة ، ولا
الى النظام الحاضر ، وكنت أعتقد أن من كانوا بأخطائهم وشهواتهم الشخصية
سببا لفتح هذا الباب امام السياسة الاستعمارية تدخل منه لتظهر للعالم أن هذه
السياسة المصرية صادرة من أقلية لا يعبا بها ...

كنت أعتقد أن هؤلاء سيمادرون باغلاق هذا الباب في وجه الاستعمار ، بأن
يعلنوا أن ليس في البلاد أغلبية ولا أقلية في هذا الموقف ، وأن أبناء الوادى
جميعا أحزابا وهيئات قد أخذوا بتلك السياسة التى تنطبق على مبادئ الحزب
الوطني ... كنت أعتقد ذلك ولكن حدث ما هو عكس ذلك فلم يكن يسوخ
لى — وقد عملت في السياسة المصرية قبل أى سياسى من الأحياء — أن أقف
صامتا ، ولا أدفع تلك الطعنات الموجهة الى بلادى ، في هذه المرحلة الدقيقة
من حياتها .

أما أن تطلق على كلاب الصيد من هنا وهناك بالانتماءات الباطلة والشتائم
والافتراءات والسباب فإن ذلك يجعلنى ان انلتى عن واجبى الوطنى فعلى القاضيين
أن يزدادوا غضبا ... وعلى كلاب الصيد أن تنطلق ما شاءت فانها لن تنال
منى شيئا !

وإذا كان « السير » مصطفى النحاس باشا يتقبل منى نصيحة خالصة من كل
شائبة فهى أن يرد لقب « سير » الى الحكومة البريطانية في الحال . وأن يعلن
أنه لن يحمل هذا اللقب ما دام في مصر عدو غاصب . وليس هذا بدعا ، وليس
هذا كثيرا ، بل هو أقل درجات الوطنية الصحيحة ، و« للسير » مصطفى النحاس
باشا في ذلك أمثال عديدة منها أن سلاطين باشا — وكان حاكما من حكام السودان
وليس زعيما لحزب أو رئيسا لهيئة — لما قامت الحرب بين بلاده وبين بريطانيا ،
رد إلى الحكومة الانجليزية جميع أوسمتها ونياشينها وألقابها !

ومنها أن تاغور شاعر الهند ، ولم يكن زعيما لحزب ولا رئيسا لهيئة ، لما
اشتدت الحالة بين بريطانيا وبين بلاده رد إلى الحكومة الانجليزية جميع ألقاب الشرف !
ومنها أن غاندى — قبل أن ينزع الهند — رد إلى بريطانيا لقب « سير »
وهو نفس اللقب الذى لا يزال النحاس باشا يحمله الى اليوم ..!!
هذا هو الذى يجب أن يكون ، لا أن يقابل الحقائق الثابتة بالاتهامات الكاذبة !
وإذا أخذ رفعة النحاس باشا بهذه النصيحة ، فانه يستطيع أن يسترد بعض
ما فقدته بتصرفاته التى لا أريد الآن أن أخوض فيها وكلها مسجلة ، ثابتة ،
لا يحجوها شتم أو سباب . أو أذنان لا تحل غير الأوساخ ...
وليعلم الجميع ان حافظ رمضان ابن يثمنه عن تأدية واجبه شىء وانه سيؤدى
الواجب الوطنى مهما كان ، وفي مواجهة أى انسان كان !

حافظ رمضان باشا أصبح مليونيراً ! *

سألنا حافظ رمضان باشا عن رأيه في الاتهامات التي وجهتها اليه صحيفة الوفد ، فقمقه طويلاً وقال : لقد عرفت الطريق الى الثروة !

فسألناه عن هذا الطريق الجديد ، فأجاب : لقد زعمت هذه الصحيفة أنني وعدت بنصف مليون جنيهه لأنني كشفت عن حقيقة ، كانت خافية على الكثيرين ولكنها مع ذلك حقيقة مادية لا سبيل إلى إنكارها . فلقب « سير » الذي طوقت به بريطانيا عنق « زعيم البلاد » كان فضيحة وطنية نجح النحاس باشا في اخفائها والتستر عليها أعواماً ، وكان يظن انها سقطت مع الزمن أو ذهبت مع الريح فلما كشفت عنها الغطاء ، وخرج الزعيم الوطني ، رافعاً لواء بريطانيا ، جن جنونهم وطار صوابهم ، وأصبحوا كالطفل الهائج ، يحصب من ينصحه ويؤدبه ، ويعلمه الخلق الكريم ، بكل ما وصلت اليه يدها ...

فالوفديون ، ينخيل إليهم ، في الاحلام التي لا تبعثها الا الخيبة وسوء الحال ، أن وصف زعيمهم بما هو فيه ، عمل يستحق أن يؤجر عليه الانسان بنصف مليون جنيهه ، فما اكبر قيمتهم في نظر خيالاتهم !!

واذا كان الكشف عن لقب « سير » يساوي نصف مليون جنيهه . فكم تدفع الى الحكومة اذا قلت لها أن مصطفى النحاس هو أول رئيس وزراء مصري وقف تحت العلم البريطاني ، يستعرض جيوش الاحتلال في ميدان الاسماعيليه بالقاهرة ، عاصمة بلاده ??

وكم تدفع الى الحكومة اذا قلت لها أن مصطفى النحاس هو أول رئيس

* نشرت بأخبار اليوم بتاريخ ١٥ ابريل ١٩٤٧

وزراء مصرى ، أستقبل سفير بريطانيا فى غداة اليوم الذى طوق فيه بمجيوش
بريطانيا قصر ملك البلاد ، ثم اقتحم عليه بابه وفرض عليه إرادة الغاصب .

استقبله لا بالازدراء والغضب ولا حتى بالجمود والبرود ، ، ولا بالتحفظ
والالم المكبوت ، بل استقبله بالاذرع المفتوحة وعانقه عناق الاحياء ، وأوعز
لقطيع من أنصاره أن يهتفوا بحياة اللورد كيلرن ويحاولوا حمله على الاعناق
ثم ينقل نبأ ذلك الى محطة الاذاعة البريطانية فتذيع فى مساء هذا اليوم أن المهربين
هتفوا بحياة انجلترا والسفير البريطانى بعد أن حاصرت الدبابات البريطانية
قصر عابدين ١١

كم تدفع الحكومة ، بل كم يدفع الاحرار فى أى بلد من بلاد الله ثمننا لهذه
الحقائق المرة التى لم تبح من ذاكرة الوطنيين فى كل زمان ...

إن هذه تساوى ملايين الملايين على حساب الوفدين . ومع ذلك فاست أنا
الذى يتجر بالآلام أمته ولا الذى يقبض ثمن الدموع المنهمرة على خدود أبناء
وطنه ، فليبق المال للذين جمعوه وعددوه وللذين انتقلوا بفضل الوطنية من الفقر
المجمل بالصبر والقناعة ، الى الثراء المسمم بصدقة الاعداء ..

أما وقائع الاتهام المضحك الذى طلعت علينا به هذه الصحف فسرهم أنهم مازالوا
يذكرون حديثى مع « آخر ساعة » عن زعيمهم ، وقد اعترفوا بهذا وذكروه .
أما تفاصيل الأمر ، فسأعرضها على النياية التى أبلغها وكبلى حالمًا سمعت بها
نشر فى الجرائد ، وقيل أن يحف مداد ما نشره ، وحسبك أن تعلم أنى لم
أشتري سهما واحداً من أسهم شركة الغاز ولم أطلب ذلك ، لا بشمته الاسمى ولا
بشمته القعلى ، ولا بشمن مؤجل أو معجل . فالقصة من نسج الخيال وهوعدنا
معهم أمام النياية .

« اختلف الأحزاب لا يخفى » *

« حافظ رمضان »

إن مصر اليوم في مفترق الطرق ... فقد أغلقت باب المفاوضات مع الانجليز ورفضت كل وساطة لاستئناف هذه المفاوضات ، وتقدمت بشكواها الى مجلس الأمن ... فما الذى يجب علينا عمله فى هذا الظرف الدقيق ؟

هذا هو السؤال الذى وجهناه الى حافظ رمضان باشا زعيم الحزب الوطنى . وقد أجاب سعادته بما يلى :

إن الجواب على هذا السؤال هو أن تتحد البلاد ، وعندى أن البلاد متعددة فعلا ، فإن الخلاف لا يكون إلا فى وجهات النظر ، وما دامت وجهتنا واحدة فإن تعدد الأحزاب لا يخفى !

وأحب أن يكون مفهوما أن الالتجاء الى مجلس الأمن يجب أن يكون مصحوبا بأعمال ايجابية نصحبها أوضاعا خاطئة لا ينبغي أن نتركها بلا تصحيح .

مثلا : يجب أن نستغنى عن خدمات الانجليز — ولو كانوا فنيين — فى وظائف الحكومة المصرية . وهذا الاجراء إذا ما اتخذناه يعد ردا مهنيا على استغناء حاكم السودان العام عن وظائف المدنيين المصريين فى السودان وآخرها الوظيفة الروحية الدينية التى كان يشغلها قاضى القضاة !

ويجب أن نتيح لأبناء الجنوب تمثيل البلاد فى البرلمان المصرى وأنا على استعداد للتخلى عن مقعدى فى مجلس الشيوخ لتعيين احد اخواننا السودانين فيه .

* أخبار اليوم عدد ١٩٤٧/٣/٨ .

وكم سرني أن البلاد تتجه من تلقاء نفسها إلى التحرر لا من الاستعمار البريطاني فحسب ، بل من العلاقات البريطانية نفسها .. وليس أدل على ذلك من هذه الحركة المباركة التي قامت لحل الاتحاد المصري الانجليزي . فما ينبغي مطلقا أن يظل هذا الاتحاد قائما ونحن في حرب مع الانجليز . ولستنا نحارب الانجليز بسبب نزاع على أسلاب أو مغنم ، ولكننا نحاربهم دفاعا عن حريتنا التي سلبوها وأرضنا التي اغتصبوها ، نحاربهم دفاعا عن كيانتنا ، فانه لا كيان لأمة يحتلها الغاصبيون .

ويجب أولا وقبل كل شيء أن ننظم حركة عدم التعاون مع الانجليز ، فلانهم سفنهم التي تمر بموانينا ، ولا نستقبلها ، ولا نتجر معهم . وأني أعلم ما قد يلحق بنا من ضيق نتيجة لبطلان المعاملة التجارية مع بريطانيا ، ولكنني أعلم أيضا أن الجهاد يتطلب التضحية . واذكر على سبيل المثال انه عند ماتخلصت تركيا من التدخل الاجنبي في شؤونها عقب معاهدة لوزان قال اللورد كيرزون لبعض رجال كمال أتاتورك : لقد كسبتم المعركة في ميدان القتال وميدان السياسة ، ولكننا سنكسب المعركة آخر الامر في ميدان الاقتصاد !

فكان جواب كمال أتاتورك — وقد سمعته بأذني من فمه — إننا نحن الأتراك سنضيق الأحزمة على بطوننا اذا جعنا ... ولكننا لا نستسلم للانجليز ابدا فيما يريدونه منا !

وقد كانت نتيجة ذلك أن اضطرت انجلترا نفسها الى فتح ابواب التجارة بين البلدين ...

فاذا نحن لم نعامل الانجليز تجاريا ، ونحاربهم اقتصاديا فانهم سيبدكون أننا جادون في جهادنا ، وسيضطرون الى طاب معاملتنا ، وأنا واثق من أن الاسواق الاوربية ستفتح امام قطننا ومنتجاتنا ، ولأفرض أن هذه الاسواق لن تفتح امامنا . فانه ليس كثيرا علينا أن نشد الأحزمة على بطوننا اذا جعنا ، ولن نجوع !

وأخيراً أذكر لك هذه الواقعة : في عام ١٩٢٦ صدرت في الجبل الأبيض وهو
أعلى جبال الألب ، والتقيت هناك إسماعيل أنجليزي كبير ، وجرى الحديث حول
المتاعب التي يلقاها صاعد الجبل وتطرقنا من الكلام في الرياضة الى الكلام في
السياسة والاستعمار فقال : إن بريطانيا تضع استقلال الشعوب التي تحتلها فوق جبل
عال مثل هذا الجبل فمن أستطاع أن يتسلق الجبل استقل ، ومن لم يستطع
فليفتخر تحت أسفل الجبل !



رئيس الحزب الوطني يطالب الاعتراف

بارسال برقيات الى مجلس الامن المخطبة بالجبر*

سألنا حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطني عن رأيه في الموقف الحاضر ، وما يجب علينا في كل حالة متوقعة بعد صدور قرار مجلس الأمن ، فقال :
لم يمر على يوم دون أن اسأل هذا السؤال ، سأفنى إياه صحفيون ، ووطنيون
معلمون ، وآخرون ممن يتخذون القضايا الوطنية سبيلا الى اشباع الفضول ،
أو مجالا للجدس والتخمين ، والتنبؤ .

ولم اضق ذرعا بهذه الاسئلة بل لم تغب عني دلالتها الباعثة للامل ، الحمية
للرجاء . فلا ريب ان هذه التلief والتطلع ، هو أقل ما ينتظر من أمة وضعت
قضيةها في ميزان ما يسمى بالعدالة العالمية ، وهو في الوقت نفسه آية من آيات
الروح المعنوية الشاكية السلاح .

فلو كان المصريون ، والسودانيون ، يحسبون ان قضيتهم ستختم بهذا القرار
الذي سيصدره مجلس الامن ، ثم تطوى صحائفها ، لانتظر أهل الوادي مصيرهم
في استسلام ، ولكنهم يعرفون أن استقلال الأمم أولا وآخرا ، هو ما تنطوى
عليه من استعداد للكفاح ، فقد تفقد الأمة استقلالها مرة ومرة ، فاستعيدته
وتخسره وتسترده ، وهكذا دواليك .

على أن بعض الذين يستسلمون للقلق يريدون أن يعرفوا سلفا ماذا عسى أن
يكون نصيب قضيتنا ! وآخرون يريدون أن يضعوا أيديهم على مواطن الضعف

* أخبار اليوم عدد ١٩٤٧/٨/٢ .

في الطريق الذي سلكناه ، أو في الأسلوب الذي اخترناه . ولهذا أقول أنه لم يبق على عرض القضية سوى يومين ، فلا معنى لهذه البحوث .

ولست أجيب بهذا لأنني لا أجد ما أقوله فإن الحزب الوطني وحده هو الذي يستطيع أن يواجه مثل هذا السؤال ، وهو رافع الرأس ، مطلق اليد ، لا يجد ما يقيد ، فنحن الذين لم نقاوض في الماضي ، ونحن الذين لم نقاوض في الحاضر ، ونحن الذين نهينا إلى أن في ميثاق هيئة الأمم المتحدة مزالق قد تؤدي أيضا إلى المفاوضة ، ومع كل ذلك فالوقت يقتضيها جميعا أن نضرب مثلا في الوطنية المجردة من كل المطامع .

ففي يوم ٥ أغسطس يجب أن يتلقى السكرتير العام لهيئة الأمم المتحدة برقيات من جميع الأحزاب السياسية والهيئات المشتغلة بقضية البلاد ، تؤيد مطالبنا التي انقطع من حولها كل جدال ، وأعني بها الجلاء عن وادي النيل ووحدة هذا الوادي بلا قيد ولا شرط .

فكم يكون جميلا أن يظهر رأي الأمة في صدد هذه المطالب موحدا وصریحا وقويا ، في الساعة التي تعرض فيها قضيتنا .

إن هذه البرقيات إن تكلفتنا جهدا ، لكن المعنى الذي تتضمنه أجل من أن يغيب على أحد من أهل وادي النيل فسيعلم العالم بأسره أن المساومات والمشاحنات والأحقاد والمطامع ، تذوب كلها عند صخرة الأمل الواحد الذي نتطلع إليه جميعا . وهو بشير لأصدقاء وادي النيل بأننا وقفنا صفا واحدا في سبيل أهدافنا وهو نذير لأعدائنا بأنهم لن يجدوا بيننا نفرة توصلهم إلى أغراضهم الاستعمارية البغيضة .

* * *

هذا هو ما أجيب به اليوم ، أما جهادنا وماذا هسانا أن نفعل في الغد ، فتوقف على ما يسفر عنه الموقف في مجلس الأمن .

برقية حافظ رمضان باشا الى سكرتير مجلس الامم

بتاريخ ٢ مارس سنة ١٩٤٦ وجهت باسم الحزب الوطنى المصرى الى الرئيس ترومان والى رؤساء الدول العظمى بريقة أوضح فيها الخطر الكبير الذى يهدد السلام فى الشرق الاوسط إذا لم تنل المطالب المصرية العادلة حلا مرضيا .

وربما أن هذه المطالب معروضة فى الوقت الحاضر على مجلس الامن ولقد صممت مصر كلها على تحقيق الجلاء الكامل العاجل عن أراضيها التى يعتبر السودان جزءا منها لا يتجزأ .. فعلى مجلس الأمن أن يعالج المرة الأولى قضية تقوم على أساس واضح من العدالة والانصاف والحق الذى لا مصرية فيه ، وأن الأمم العربية - شأنها فى ذلك شأن غيرها من الدول الصغيرة - لتتظن قرار المجلس لتعرف إذا كانت هيئة الأمم المتحدة تعنى حقنا باحترام روح ميثاقها .

ن الحزب الوطنى الذى حارب دائما فكرة المفاوضات المباشرة اعلن دائما بطلان معاهدتى ١٨٩٩ و ١٩٣٦ باعتبار أن هاتين المعاهدتين قد عقدتا تحت ضغط القوة العسكرية للدولة المحتلة ليعيد ويكرر معارضته لهاتين المعاهدتين اللتين كان دائما يعلن بطلانهما .

فاذا لم يعترف مجلس الأمن بحقوق مصر فان خيبة الأمل ستكون شديدة الوقع فى الشرق الاوسط بأسره مما قد يؤدى الى أوخم العواقب .

حافظ رمضان

رئيس الحزب الوطنى

بين ترومان وحافظ رمضان

نظراً لأهمية البرقية التى يشير اليها حافظ رمضان باشا رأينا أن ننشر نص بريقته المؤرخة فى ٢ مارس سنة ١٩٤٦ .

كلفنى لجنة الحزب الوطنى الادارية المجتمعة اليوم أن أبلغ سعادتك ما يأتى :

نظراً الى الحوادث المحزنة التي وقعت في الايام الاخيرة بمصر ، ونظراً الى أن الشعب المصري بأجمعه مصمم تصميماً أكيداً على الحصول على جلاء الجنود البريطانية جلاء تاماً عن جميع الاراضي المصرية فقد أصبح من العسير على بريطانيا أن تبقى جنودها برغم مصر في أية بقعة من الاراضي المصرية والسودان . وأن كل حكومة مصرية لا يكون لها وجود اذا هي لم تجعل في أساس سياستها محاربة الاحتلال البريطاني .

ويظهر من هذا أن مصلحة بريطانيا ومصلحة السلم في العالم وضع حد لهذه الحالة التي يمكن ان تتطور الى اضطراب عام في الشرق بأجمعه . ومصر التي بلغ عدد سكانها ٢٠ مليوناً وأصبحت مواردها الحالية كافية لأن يكون لها على قناة السويس قوة دفاعية تبلغ عشرة أضعاف ما يريده بريطانيا — عازمة على بذل كل تضحية للحصول على استقلالها والاشتراك في الدفاع عن السلم العالمي والمبادئ التي ترمي اليها جمعية الأمم المتحدة من حرية الشعوب واستقلالها . لهذا نتشددكم أن تعملوا لتتلاقى ما قد يحدث في هذا العالم الذي لا يزال مضطرباً بعد هذه الحرب من نتائج سيئة بسبب السياسة البريطانية المبنية على عدم تفهم الحقائق وضرورة مسايرتها .

رئيس الحزب الوطني

حافظ رمضان

وبعد ستة ايام تلقى حافظ رمضان باشا الرد التالي :

حضرة صاحب السعادة حافظ رمضان باشا .

رئيس الحزب الوطني بمصر .

سيدى . لقد ابغنى وزير الخارجية بأنه تلقى مع التقدير برقيتكم المؤرخة ٢ مارس

سنة ١٩٤٦ التي وجهتموها الى رئيس الولايات المتحدة الامريكية .

وان الحجة التي ضمنتها رسالتكم قد كانت محل عناية الرئيس الذي أحالها

المخلص

لموظفي القسم المختص بهذه الشؤون .

ب . تالك . وزير أمريكا المفوض في مصر

٨ مارس سنة ١٩٤٦

من شباب الحزب الوطني

وأرسل الاستاذ فتحى رضوان ، رئيس اللجنة العليا لشباب الحزب الوطنى ،
البرقية الآتية إلى مجلس الأمن :

منذ نصف قرن أعلن الحزب الوطنى المصرى مبادئ فى السياسة الدولية :
أولها : أن كل مفاوضة أو اتفاق فى ظل الاحتلال الأجنبى يكونان باطلين ،
وأن المعاهدات الثنائية الخاصة بالقضايا الدولية ستهدد الأمن للعالمى لأنها تكسب
بعض الدول حقوقا ومصالح على حساب الآخر . ولذلك رفض الحزب المفاوضة
مع الانجليز وكره أن تحل قضية مصر معهم بعزل عن العالم .

وقد أصبح هذان المبدأان جزءا من إيمان الانسانية السياسى . ومن ثم فإن
قضية جلاء الانجليز عن مصر والسودان هو تطبيق صريح . كما قال رئيس الحزب
فى برقيته الاخيرة لمبادئ الأمم المتحدة المستخلصة من أهوال التجارب والحروب .
ومعاهدة سنة ١٩٣٦ ليست سوى عدوان بريطانيا على مصر قد اتخذت صورة
وثيقة اذ لم يكن هناك من يقبل التوقيع عليها لولا الاحتلال البريطانى .

إن سياسة الانجليز فى عهد الاحتلال أعلنتها اللورد جرانفيل بقوله أن الوزير
المصرى الذى يرفض أمر بريطانيا سيستقيل أو يقال . وسياستها بعد المعاهدة
جرت على التدخل المستمر فى شؤون المصريين الخاصة . والمعاهدة التى هى وصلة
بين العهدين لا يمكن أن تساوى شيئا فى حساب العدل والقانون .

أما وحدة وادى النيل فليس أبلغ فى الدلالة على انطباقها على الحق وما تقضى
به الطبيعة من أن السودانين قد قاوموا بالسلاح انسحاب القوات المصرية من
السودان فى سنة ١٩٢٤ بأمر الانجليز . واستشهدوا فى سبيل استبقاء مواطنيهم
المصريين معهم . وسبستأنف المصريون والسودانيون كفاحهم من أجل استقلالهم
ووحدهم لو صددهم مجلس الأمن بقرار لا يتوقعونه .

* منشور بحدد جريدة الاهرام الصادر بتاريخ الاربعاء ٦ أغسطس سنة ١٩٤٧ .

عبد الكريم *

عبد الكريم !

رددنا الاسم وكأن كل منا قد مسه سلك يفيض كهراء ، فانتفضنا له انتفاضة قوية تداعت معها في لحظة ذكريات ربيع قرن ، إمتزجت فيها فرحة الانتصارات الباهرة بالآلام الهزائم التي قد بلغت في شرفها حدّاً ارتفع بها إلى مرتبة الظفر العظيم .

فعبد الكريم عنوان على هذا الكفاح المربر ، الذي كان العرب والشرق كله يتابع جولانه مأخوذاً بهذه الحيوية التي كشفت عن نفسها في معارك ظن الاسبان أول الأمر أنها جذوات متضائلة تحت رماد السنين ، وأنها لا تلبث أن تنطفئ بحفنة من تراب أو قطرة من ماء ، فإذا بها تقوهج وتشتعل ، ثم إذا بها تضيء وتشرق ويرى الناس على ضوءها الباهر تاريخ العرب تندفع إليه تيارات من شبابه .

ثم أشفق العرب ، وأنصار الحرية ، حيناً رأوا حرية مراکش ، وقد أحرق بها الفرنسيون مع الاسبان ، ثم تابعوا حرية مراکش وهي تتلقى الطعنات من هنا وهناك ، ودعها يسيل ، وهي تحتل الألم ، وتستمد منه عوناً على تحقيق الأمل فلما استسلمت آخر الأمر اختلط دمها بدموع الأحرار .

هذه الذكريات تدافعت في رؤوسنا وتراكضت ، حتى إذا اجتمعنا بزعمي شباب المغرب : الطريس ، وعلال ، نظر كل منا إلى صاحبه ، وكأنه يريد أن يقول شيئاً ، ولكن يعود فيحبسه ، وبعد لحظات حدث كل منا صاحبه ، وكأنه يحدث نفسه : كم يكون جميلاً ورئعاً أن تقول القاهرة لعبد الكريم وهو

* الأهرام عدد ٢ يونيه سنة ١٩٤٧

في طريقه إلى منفاه الجديد : « إنني أفتح ذراعي لأستقبلك إن شئت » . وقبل أن أدير الفكرة في رأسي كان صديقي « أبا الحسن » يستحثني ويدفعني لأترق باب الفاروق ، وأرفع إلى سدته رجاء العرب والعربية .

ولقد خرجت مترددا ، فالفكرة جميلة كالحلم ، لكن ماكدت أنقل هذه الأمنية إلى بعض الجهات الرسمية حتى عاد إلى الجواب كرجع الصدى ، فما ظنناه حالما كان عند الفاروق عزما ، وما فكرنا فيه على استحياء كان عند عاهل العرب الشاب « ملك وادي النيل » حقيقة .

فأدركنا من جديد أن الفاروق هو حامى حمى هذه الحركة الفتية في جميع البلاد العربية ، أو أن الأحرار سيجمعون قاطبة في ظله المديد .

عبد الكريم ضيف الفاروق بعد المفقى ١٠٠ إذن حرية المشرق وحرية المغرب يتعانقان ، وطرف الكفاح العربي يلتقيان ، فإذا لم يكن هذا بشير الحرية الكاملة فبأى شيء آخر يمكن أن يستبشر المجاهدون ؟

فتحي رضوانه
المحامي

ملخص محاضرة الاستاذ فقهي رضوانه ، رئيس اللجنة العليا للمعرب

في ١١ يولييه سنة ١٩٤٧

ذكرى ضرب الأسطول البريطاني

لمدينة الاسكندرية في سنة ١٨٨٢ *

« إن ضرب مدينة الاسكندرية هو فظاعة دولية

وعمل يجمع بين الخسة والقسوة والاجرام . »

(السير ولفر دولاوسن)

عضو مجلس العموم البريطاني في ١٢ يولييه ١٨٨٢

« يقتصر عمل الأميرال سيمور ، قائد الأسطول

البريطاني الراسي في ميناء الاسكندرية في المستقبل

لإزاء مصر ، على دفاع الأسطول الشرعي دون

أن يكون ثمة غرض خفي للحكومة البريطانية . »

(وزير خارجية بريطانيا في ١٠ يولييه سنة ١٨٨٢)

مقررات بهيرة

منذ فكر نابليون بونابرت في الاستيلاء على مصر ، والاستعمار البريطاني

يعاني قلقا واضطرابا أشبه ما يكون بالحمى . فقد أحس البريطانيون خطر قيام

دولة قوية في مصر على أمبراطوريتهم الشاسعة في الشرق الأقصى عموما ، وفي

الهند على وجه أخص .

* منبر الشرق — عدد ١١ يولييه سنة ١٩٤٨

وما توجسوا منه خوفاً واشفاقاً قبل وقوعه ، ادر كوا حقيقة نتائجها ، حينما قامت بالفعل دولة محمد على القوية المنيعه ذات الجيش والاساطيل ، وذات المصانع والمدارس ، فأقسموا أمام شياطينهم الا أن يقوضوا هذا المجد الشاخ ، وان ينقضوا بناءه حجراً حجراً .

ولم تكن دولة محمد على أمراً طارئاً حتى يسهل إزالتها من الوجود ، وانما كانت نتيجة طبيعية لوحدة وادى النيل التى لا يمكن الا ان تظهر اذا تبسر نشوء دولة قوية فى مصر او فى السودان . ولم يكن الشرق العربى فى يوم من الايام سوى وحدة أخرى اقل تماسكاً من وحدة وادى النيل ، وليكنها فى الجملة لاتقل قوة واتساقاً من وحدة الولايات الالمانية التى ضمتها دولة الرايخ فى عهد بسمارك ومن بعده ، أو وحدة الولايات السويسرية ، أو وحدة الولايات المتحدة الامريكية . فالدولة المصرية التى نشأت فى عهد محمد على لم تكن الا النسخة الجديدة من كتاب الدولة المصرية الذى عرفه التاريخ فى عهد الدول الطولونية والايوبية والاشيدية والفاطمية ، بل قبل ذلك بثلاثة آلاف من القرون أيام تحتمس ورمسيس ، حينما اندمجت مصر والنوبة وسورية وفلسطين والعراق الى جبال طوروس فى الشمال ومعها طرابلس فى الشرق فى دولة واحدة .

لقد انتاب الساسة البريطانيون الهلع ، حينما أصبح البحر الاحمر ، فى عهد محمد على الكبير بحيرة مصرية ، وحينما أصبح شرق البحر الابيض محالاً حيويًا للاسطول المصرى يروح فيه ويغدو ، تحفك بنوده ، وترفرف فوق مئات وألوف من القطع القوية ألويته ، ولقد أنطقهم الخوف بمسلاً يحبون أن يجهروا به ، فقالوا إن بريطانيا لاتستطيع أن تغمض عينها على دولتين إسلاميتين كبيرتين فى شرق البحر الأبيض المتوسط — أى تركيا ومصر — فعرف من لم يعرف أن التمسب الدينى الأعمى لا يفرخ إلا فى الغرب .

ثم جاءت قناة السويس ، فربطت الشرق والغرب ، فارتفعت حمى الطمع عند

بريطانيا درجات ، وقد كانت هذه القناة كابوسا مزعجا يترأى لبريطانيا في أحلامها بين الحين والحين ، فتمتنع من النوم ، وجبين سياستها يتفصد عرقا .

فلما اضطربت ميزانية مصر في عهد الخديو إسماعيل ، برز من فم (جوزبول) ناباه ، إذ أحسن أن الساعة قد دنت لاتهم الفريسة . وتساق الاستعمار البريطاني فعلا على أكتاف المرابين اليهود ، إلى نافذة الاقتصاد المصري القومي ، ووثبوا منها إلى الاستقلال المصري كما يسطو للصوص في الليل المبهم ، وأجهزوا على الفريسة في المدة ما بين ١١ يولييه سنة ١٨٨٢ و ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ .

مقرعات قريشة

على أنه إذا كان القلق قد انتاب الاستعمار البريطاني منذ قيام الدولة المصرية ، وازدهارها واتساع رقعتها ، ومنعتها العسكرية ، فإن هذا القلق تضاعف حينئذ رأى أن جرائم الضعف قد دبت إلى جسم هذه الدولة ، بسياسة التبذير والاسراف ، التي سار عليها الخديو إسماعيل ، فتوغل النفوذ الأجنبي حتى أصبح على الحكومة المصرية رقيبان ، أحدهما انجليزي والثاني فرنسي . وكان الاستعمار خليقا بأن يجد في هذا الفساد ، وفي امتداد نفوذ الجانب في مصر عزاء وسلوى — الى حين — عن الامل المرتقب وهو وضع اليد على وادي النيل وامتلاكه ، والتصرف فيه . ولكن بريطانيا رأت خطرا يهدد مطامعها في الصميم ، رأت الشعب المصري يخفق ، رآته ينفض عن نفسه أقال الدولة القوية ، ليعلم عن وجوده ، فيسمع صوته ، وتحس إرادته .

ففي أواخر عهد إسماعيل وجدت الصحافة القوية التي تنقد الحاكمين ، وتهزأ بسقطاتهم ، ولا تحفل بجاهلهم . فاديب اسحاق صاحب جريدتي « التجارة » و « مصر » عبر في مقالاته النارية عن كل ما كان مكتوما في قلب الشعب . والسيد جمال الدين الأفغاني بذر بذورا جديدة للثورة الفكرية التي لا تزال إلى الآن في طريقها نحو النضوج والاكتمال والتأصل .

أراد الاستعمار أن يعالج هذه الروح الجديدة في مهدها ، فلما اتجه الخديو
إسماعيل إلى الاستعانة بالشعب ليواجه ضغط الأجانب عليه ، قرر الاستعمار أن
يقصم ظهر هذا المولود الجديد قبل أن يملأ عينيه من نور الحياة .

بدأ الخديو إسماعيل فاصدر ديكريته ٢ اغسطس سنة ١٨٧٩ الذي أنشأ
مجلس الوزراء ، وترك للوزراء أن يحكموا ، وأن يتحملوا تبعات أعمالهم ، ثم كلف
شريف باشا فوضع دستورا لا يقل عن دستور أية دولة حديثة أخرى في كفايته
لحقوق الشعب .

ثم عبرت هذه الحركة الدستورية الجديدة عن نفسها حينما اعتدى العساكر
والضباط المصريون في فبراير سنة ١٨٧٩ على نوبار رئيس الوزراء وعلى الانجليزى
ريفرز وزير المالية المصرية ، فلم يكن مناص من عزل الخديو إسماعيل ، فعزل ،
ولم يكن عزله للأسف انتصاراً للروح القومية وللروح الدستورية ، فان الشعب
لم تكن له يد في إقصائه عن مسند الخديوية ، وإنما كانت بريطانيا وفرنسا هما
اللتان تأمرتا عليه ، لا رغبة في إنهاء حكم الفرد في مصر ، ولا تمهيداً للفلاح
والطبقة الفقيرة من سيادة الباشوات ، بل كان خوفاً من اتحاد الخديو إسماعيل مع
الشعب ، وانشاء جبهة مقاومة منهما للنفوذ الأجنبي .

ولما ولى الخديو توفيق الأريكة المصرية في ٢٦ يونيو سنة ١٨٧٩ ، وكان شاباً
في الثامنة والعشرين ، وكانت له صلات بالسيد جمال الدين الافغانى ، ظن دعاة
الحرية المصرية أن مبادئ إسماعيل في أخريات أيام حكمه سيستمر ويتصل في عهد
توفيق ، لا سيما أنه أبقى شريف باشا في رئاسة الوزارة ، وكان شريف باشا زعيم
الحركة الدستورية المصرية ... وقد تأكد هذا الأمل حينما كتب الخديو توفيق
إلى شريف باشا يقول : « ولعلمى أن الحكومة الخديوية يجب أن تكون شورية
وأن يكون نظارها مسئولين ، فاني اتخذت هذه القاعدة للحكومة مسليكا لا انحول
عنه ، فعلينا تأييد شورى النواب وتوسيع قوانينها . »

ولكن هذا الأمل كان سرايا . فالخديو توفيق لم يلبث حتى تنسكرك حركة

الحرية والدستور في مصر بفضل دسائس القنصل الانجليزي ادوار مالت وكثرة تدخله في الشؤون المصرية البحتة ، وكثرة نصائحه ، وكانت كلها تفيض بالروح الرجعية وبالكراهة للمصريين ولحركتهم الدستورية .

وقد نالت ضربات توفيق الرجعية ، ففي ٢٦ أغسطس سنة ١٨٧٩ نفى السيد جمال الدين الأفغانى . وفي ٣ سبتمبر سنة ١٨٧٩ اسندت الوزارة إلى رياض باشا زعيم الرجعيين ، وصديق الأجانب ، وخادم الاحتلال بعد ذلك . وفي ٤ سبتمبر ١٨٧٩ أعيدت المراقبة الأجنبية الثنائية بعد إلغائها .

وقد بدأ عثمان رفقى باشا وزير الحرية في وزارة رياض باشا في التآمر ضد زعماء الشعب من العسكريين ، فكان ذلك بداية الثورة المصرية التي تزعمها أحمد عرابى باشا .

ولكن هذه الخطوات الرجعية الصريحة ، كانت مصحوبة في الوقت نفسه بخطوات أقوى منها وأجراً ، هي خطوات الحرية المصرية والحركة الدستورية الشعبية .

ففي نوفمبر سنة ١٨٧٩ بعد أن توالى ضربات رياض باشا للصحافة المصرية ، أحس زعماء المصريين بأن حريتهم ستختنق ، اضطروا إلى الفرار بها إلى عالم الخفاء ، فاصدروا بياناً غير مسموع بامضاء حملوا فيه على أخطاء الحكومة ومصادرتها للحريات حملة شعواء أفقدت الحكومة صوابها ، فبثت أرسادها بحثاً عن هؤلاء الذين يصوبون إليها سهام النقد محتمين بالسرية التي لا تقنأولهم فيها أيدي البائسين . ويعتبر هذا المنشور أول عمل للحزب الوطنى المصرى .

وانتخذت حركة المقاومة للرجعية وحكم الفرد والخضوع للاجنى سبيل الجهر والمصارحة على لسان زعماء البلاد العسكريين ، وعلى رأسهم أحمد عرابى باشا الذى طلب عزل عثمان رفقى وزير الدفاع ، فبهت رياض باشا إذ لم يكن عرابى سوى « فلاح » واعتبر هذا الطلب تحدياً وتمرداً ، وقرر اعتقال الزعماء العسكريين ، عرابى وزميليه عبد العال حلى ، قائد آلاى طرة ، وعلى فهمى ،

قائد الحرس ، وفلا أودعا سجن وزارة الحربية بقصر النيل ، لولا أن خرج الجنود من ثكناتهم بعبدين وبطرة ، ثم ذهبوا بقيادة البكباشي محمد عبيد إلى زعماء الجيش ، وفكوا أسرهم مما أذهل رياض ، وأوقع توفيق في حيرة ، إضطر معها آخر الأمر أن يدع كلمة الشعب ، وأن يعزل رفيق ، وأن يكمل وزارة الدفاع إلى صديق من أصدقاء الثورة هو محمود سامي البارودي .

وما زالت الأمور تتدرج في إعلان كلمة الشعب المصري حتى كان إعلان الدستور في ٩ فبراير سنة ١٨٨٢ - وقد انعقد مجلس النواب الأول - في وسط أفراح شعبية .

لقد كان إعلان الدستور بمثابة الثقب الذي أشعل مخزن البارود ، فان الحكومتين الانجليزية والفرنسية أرسلتا مذكرة في ٨ من يناير بمناسبة عقد مجلس النواب الذي وضع فيما بعد الدستور إلى الخديو توفيق وإلى شريف باشا رئيس الوزارة تحذره من هذه المناسبة أن تثبيت عرشه ما يشغل بال الحكومتين .

ولقد أرفقوا ذلك بمذكرة منهم في ٢٦ يناير سنة ١٨٨٢ يشكرون فيها على مجلس النواب المصري تفكيره في تضمين الدستور حق النواب في تقرير الميزانية . وانتهى الأمر بالانجليز والفرنسيين إلى إرسال مذكرة إلى الخديو في ٢٥ مايو سنة ١٨٨٢ بعد أن انتهت دورة مجلس النواب في آخر مارس من نفس السنة ، يطلبان فيها إبعاد عرابي باشا من مصر واستقالة وزارة البارودي .

ولم يكن قد وقع من الحوادث الدولية ما يبرر هذا التدخل . ولكن الدولتين الاستعماريتين إلتهمتا فرصة خلاف نشب بين الخديو ووزارة البارودي باشا بصدد حكم صادر من المحكمة العسكرية على بعض الضباط ووجهتا هذه المذكرة مدعيتين أن سلطة الخديو بدأت تتزعزع . وقد انتهى هذا التدخل المعيب إلى تحاذل الخديو وانصياعه لمشورة الانجليز ، فأخرج من مركز الوزارة وألجأ البارودي إلى الاستقالة ثم شغرت الوزارة ، فبقيت مقاعدها خالية من ٢٦ مايو حتى ١٣ يونيو فقد اعتذر عن تأليفها شريف باشا كما اعتذر آخرون .

ولولا أن الانجليز دبروا في يوم ١١ يونيو حدثا افتعلوه وأشرفوا على

إخراجه ، لما فكر توفيق مطلقا في إسناد الوزارة إلى أحد مكتهما بإدارته هو
للبلاد ، إستئثارا بالسلطان ، ولكن هذه المذبحة التي وقعت في ١١ يونيه بمدينة
الاسكندرية هي التي ألزمتهم بأن يستند الوزارة إلى اسماعيل راغب باشا في يونيه .

أما تفصيل أمر المذبحة فهن جدا إذ أنها لا تعدو أن تكون شجارا قد وقع
بين حمار مصرى يدعى السيد حجان وبين أحد رعايا بريطانيا من الماطيين ثبت فيما
بعد أنه شقيق خادم قنصل انجلترا ، وقد وقع اعتداء الماطي على المصرى بلا
استفزاز ، بل كان إعتداء وحشيا إذ أنه أنكر على صاحب الحمار حقه ، فرفض
أن يعطيه أجره ، ثم طالبه به ، فرد عليه بسكين اخترقت صدره . وكان الأجانب
قبل الحادث قد تجمعوا برئاسة قناصلهم وتسليحوا بسلاح وزع عليهم من
الاسطوان الفرنسى والبريطانى اللذين وفدت قطعهما على الميناء ابتداء من يوم
١٩ مايو حتى بلغ عدد القطع الانجليزية ٧ قطع كبيرة .

وقد كان اعتداء الماطي على الحمار ، إشارة البدء ، إذ خرج الأجانب من كل
صوب ، يقتلون في المصريين ، ويذبحونهم ، والمصريون لا يملكون رداً على هذا
العدوان الصارخ سوى ما وصل إلى أيديهم من قطع خشبية وسكاكين . وقد
بلغ عدد ضحايا هذا الحادث من ٤٥ إلى ٥٠ قتيلاً كان نحو الثلث فيه من الأجانب .
وثلاثه من المصريين . وقد اعتبرت بريطانيا ذلك دليلاً على اختلال الأمن وعلى نفش
التعصب الدينى بين المصريين ، ولكن فرسينيه رئيس وزراء فرنسا قد انصف الحقيقة
حين أعلن في مجلس الشيوخ الفرنسى في يوم ١٢ يونيه سنة ١٨٨٢ ما نصه :

« إن الأسلحة وزعت على الماطيين بالاسكندرية قبل الحادثة ببضعة أيام ،
وأنة لباطل أن يقال أن سبب هذه المذابح هو التعصب الدينى في مصر . »

١١ يوليو

سارت السياسة البريطانية نحو ١١ يوليه سنة ١٨٨٢ بقلب قد تحجر وامتلأ
وحشية وتصمما على ارتكاب الجريمة الكبرى ، جريمة البطش بالاستقلال
المصرى ووأد أمة فتية كانت قد بدأت في تعمير الجانب الشرقى من البحر الأبيض

وتعليمه وإقامة نظام تحافى تقريبا بينها وبين ولاياته . وقد أحسنت هذه السياسة اختيار الأسلوب ، فقد وضعت الخطوات التالية الواحدة إثر الأخرى :

أولا — استغلال تورط مصر في الديون بإنشاء المراقبة الثنائية التي اتاحت لها رسميا التدخل في شؤون مصر وانتهت باسناد وزارة المالية الى أحد موظفيها .

ثانيا — محاولة التخلص من هذه المراقبة الثنائية للانفراد بالسلطة في مصر .

ثالثا — إشاعة الفتنة بين الخديو توفيق واحمد عرابي باشا ، باحتضان توفيق حينما ، ومخالفة عرابي حينما ، حتى إذا استتب الأمر لزعامة عرابي ، اعتبرت هي هذه الزعامة تحديا لسلطة الخديو وقررت من تلقاء نفسها حماية الخديو وثبيت عرشه ، وإعادة سلطانه اليها ، على الرغم من أنه لم يطلب منها صراحة ولا ضمنا قبل يوم ١١ يولييه شيئا من هذا .

رابعا — لما تدخل القنصلان الانجليزى والفرنسى في شؤون مصر وطالبا إقالة وزارة البارودى ، وأقيمت الوزارة فعلا ورأت بريطانيا أن هذا لا يكفي للوصول الى غرضها قررت الانفراد بالعمل وأعلن هذا اللورد جرنفيل ، وزير خارجية بريطانيا ، لمسيو فريسينيه رئيس وزراء فرنسا .

خامسا — لبثت بريطانيا دعوة فرنسا الى المؤتمر الذى عقد ابتداء من ٢٣ يونيه ١٨٨٢ فى الاستانة لمناقشة المسألة المصرية ، ووافقت على القرار الذى صدر منه فى ٢٥ يونيه قاضيا بأنها لن تسعى فى الحصول على امتياز خاص لرعاياها فى مصر ، ولا لاحتلال قطعة من الأراضى المصرية . كما وافقت على أن يوكل لتركيا أمر قمع الثورة العربية فظهرت الدولة غير الطامعة فى شىء .

وبعد هذا التنظيم البارسى سياسيا ، رأت أن تعمل ، وأخذت بوارجها ومدرعاتها تتوالى على ميناء الاسكندرية ابتداء من ١٩ مايو سنة ١٨٨٢ ، وكانت قطع من الأسطول الفرنسى والامريكى واليونانى قد وافت أيضا .

وبدأت القطع البريطانية فى التحرش ، فأرسل الأميرال بوشان سيمور فى ٦

يوليه انذاراً للحكومة المصرية يقول فيه أنه شاهد تجديداً في حصون الميناء .
ومما يقطع بأن هذا لم يكن إلا من قبيل تحرش الذئب بالحلل ، أن هذا البلاغ لم
يسلك يصل الى قائد الميناء المصرى ، حتى بدأ الأجانب يهاجرون من المدينة ،
ويهاجرون الى السفن ، علما منهم بأن المعركة لا بد دائرة .

ولما نفى طلبه عصمت باشا قائد الميناء أن التحصينات كانت ترم ، وأنه لم توضع
مدافع جديدة ، لم يقنع الأميرال سيمور قائد الأسطول بهذا الرد . وأراد قناصل
الدول الأخرى أن يتوسطوا لدى الأميرال لعلهم يستطيعون أن يهدأوا مخاوفه
على أسطوله الذى جاء بنفسه الى الاسكندرية والذى لم تحرف اسكندرية نحوه ،
فرفض هذه الوساطة بحفاء شديد ، لأنه كان يكره كل ما من شأنه أن يعوقه عن
تخطيط المدينة واشغال النار فيها ، وقلب عاليها ، سافلها .

ولما كان الطمع كالمرض ، يتزايد مع الايام ما لم يتداركه الزمن بعلاج ، فقد
طلب الأميرال سيمور ، من قائد الموقع ، لا أن تقف فقط أعمال التحصينات
الجديدة التى زعمها ، والى يقسم المسيو جون نينه السويسرى أنه لم ير شيئاً منها ،
والى يقرر الأميرال كونراد قائد الأسطول الفرنسى أنه لم يرها ، بل أن تسلم له
حصون المدينة نفسها .

وفى يوم ١٠ أئذر الأميرال سيمور طلبه باشا عصمت ، أنه سيضرب المدينة
فى الساعة السابعة من اليوم التالى ان لم تسلم له البطاريات المنصوبة فى شبه جزيرة
رأس التين وفى ميناء الاسكندرية الجنوبى لتجربتها من السلاح . وفى اليوم
نفسه قطع القنصل البريطانى علاقاته بالحكومة المصرية فأخلى القنصلية ، ولجأ
الى الأسطول بعد أن سعى فى أن يصحب معه الخديو الى إحدى السفن .

جمع الخديو عدداً من أعيان المصريين مع الوزراء ، وكبار الموظفين ، وقرر
الجميع أن ترد الوزارة على هذا الانذار النهائى برد جاء فيه :

« نحن هنا فى وطننا وبيتنا ، فنحتمل بل من الواجب علينا أن نتخذ عدتنا ضد

كل عدو مياغت يقوم على قطع أسباب الصلات السلمية التي تقول الحكومة الانجليزية أنها باقية بيننا . ومصر الحريضة على حقوقها الساهرة على تلك الحقوق وعلى شرفها لا تستطيع أن تسلم أى مدفع ولا أية طابية دون أن تكره على ذلك بحكم السلاح . »

وفي الساعة السابعة بدأت المجزرة .

فقد كانت الحصون قديمة ، لم تمتد اليها يد التعمير والاصلاح منذ أنشئت في عهد محمد علي ، ولم تكن بها مدافع حديثة سوى نحو مائة مدفع ، ركب منها ٦٤ مدفعا ، وقد كانت لا تتوافر لها جميعا أدوات التسديد والتصويب ، فكان سيف النصر بك قومندان قلعة القنار ، ينتقل من مكان الى مكان ومعه مسطرة واحدة يحكم بها التسديد .

وقد استمر الضرب شديدا صروعا منذ بدأ حتى الساعة الحادية عشرة ، ثم انقطع قليلا ، واستمر بعد ذلك حتى الساعة الثمانية عشرة ، ولبت هزيمة ، ليستأنف حتى غروب الشمس . ولقد كانت خطة الأسطول أن تجتمع كل سفينة من حربيين ، أمام حصن ، ثم تصوبان اليه القذائف فاذا أحمدا مدافعه وأسكتاه تقدمت السفن وحصدت بالمتريوزات المركبة على صواريخها الجنود الذين باتوا عزلا من السلاح .

ولم ينجح هؤلاء بقتل الجنود ، ولا بهدم الحصون ، ولا بتذرية المدافع في الهواء ، انما اقترفوا من الفظائع ، ما نعيب معه أو بعده كيف تجرؤ بريطانيا أن ترفع أصبعها بالاتهام في وجه المانيا النازية ، ولو درت أن النازيين في أسود أيامهم لم يرتكبوا ظالما يداني عشر معشار الظلم الذي ارتكبهته بريطانيا يوم ١١ يوليه ، لتوارت بريطانيا بكل نفاقها من العالم الدولي . فان مدافعهما تخطت الحصون الى المدينة ، وتجاوزت الجنود الى الاهالى الآمنين ، بل انها انتقمت من المساجد ، والمدارس عن عمد . وقد وصف جون نينيه السويسرى في كتابه « عرابى باشا » كيف حطمت بارجتان مسجدا في قلعة قايتباى ، وقد نقل عنه الاستاذ الجليل عبد الرحمن الرافعي بك هذا الوصف الرائع :

« فان البوارج البريطانية بعد أن هدمت القلعة ، اقتربت منها اثنتان في الساعة الرابعة نحو مسجد كان مقاما في القلعة ، وكانت تعلوه منارة تعتبر آية من آيات الفن العربي ، وعلى الرغم من أن المسجد والمنارة بانا أعززين ومات الحماة ، واستشهد الرماة ، إلا أن الاسطول البريطاني احتاج ساعتين ليهدمهما ، ثم ينصرف فرحا بأبطاله الذين جاءوا ليعلموا الناس في مصر المدنية ، وليحموا فيها النظام . »

لقد كان يوم ١١ يولييه ، يوم عقاب المصريين الذين ناموا عن حمامهم ، فلم يسهرُوا على هذه الحصون العظيمة ، ولم يسلمحوها ، ولم يحسبوا ليوم القتال حسابا . ومع ذلك فان الجنود المصريين أبلوا في الدفاع عن حياض أمتهم دفاعا صوره جون نينيه فقال :

« ومع ذلك فما كان ابدع هذا المنظر ، منظر الرماة المصريين الذين كانوا قائمين على مدافعهم ، وهي مكشوفة في العراء وكانهم في استعراض حربي لا يرهبون الموت الذي يكتنفهم إذ لم يكن لهم دوائر واقية ولا متاريس ، وكانت معظم الحصون بلا سائر ، ومع ذلك فهؤلاء الشجعان من أبناء وادي النيل كننا نلهمهم وسط الدخان الكثيف كأنهم أرواح الأبطال الذين سقطوا في حومة الوغى ، ثم بعثوا ليكافؤ العدو من جديد ويستمدفون لنيران مدافعه . »

هذه هي مصر ، في ساعات الضعف والاستسلام ، لانزال تلمع في ليلها البهيم بوارق من ماضيها ، تخطف البصر ، وتختفي ، وليكنها تؤكد لمن نسي أن هذه بلاد الفاتحين الذين رفعوا مشاعل الحضارة والسلام والانسانية ... وأن هذه البلاد هي التي حمت المسيحية ، وازدهر في ربوعها علم الاسلام ، وربطت الشرق والغرب .

وإن كنت في شك من أمر هذه الأمة فانظر ماذا كان يفعل نساؤها ورجالها يوم ١١ يولييه : لقد تطوع المتطوعين من الرجال فحملوا للمقاتلين الذخائر ، وحملوا الجرحى وضمّدوا جروحهم ، ثم تقدمت النساء ، فأخذن يغنين ، وهن يحملن الطعام والماء ...

هذه هي مصر المرة الثانية ... لا تفتح أمامها أبواب الاستشهاد حتى تلجها ،
غير هيابة ، إنما على القائد الكريم أن يقدح الزناد ليورى النار ...
فهل من سميع من الشيوخ ، وهل من سميع من الشبان ؟

قبيل الاختصاص مع بريطانيا

امام مجلس الامن

يستطيع حتى من لا يبصر ، أن يرى من خلال هذه الحوادث أن بريطانيا
تعرف كيف تحدد الهدف ، ثم تسير إليه قدما لا تلتوى ولا تثنى . وهذا هو سر
قوتها السياسية في الماضي ، وهذا هو سر ضعف الذين نازلوها في الميدان الدولي .
فبقدر ما كانت بريطانيا حازمة في المسألة المصرية ، كانت فرنسا مترددة وضعيفة .
خلا الجو لبريطانيا ، فكبست كل ما أرادت .

ونحن ننازل بريطانيا فان لم نتخلق بالخلق الذى نستطيع أن نصرعها به ،
غلبتنا على أمرنا . فنحن نقول مثلاً أن بريطانيا معتدية على بلادنا ، وأن وجودها
في أراضينا مخالف لمواثيق الامم المتحدة ، وأن بقاءها في وادى النيل معكر
للأمن ، ومع ذلك فنحن نتصرف على عكس مقتضى هذا القول . فالقوات التى
تحتل بلادنا تزيد عن المقرر في معاهدة سنة ١٩٣٦ ، وهى مع ذلك تلقى منا
كل ما تلقاه الجيوش الصديقة ، فالماء العذب يصل اليها منا ، والأطعمة بوردها
المعهدون المصريون والمقيمون في مصر ، بل ان الأبنية الحديثة التى تؤسس لهذه القوات
تستولى على الأسمنت الذى تصنعه شركائنا ، وتعمل فيه أيدينا العاملة ... فأى
موقف ادعى الى السخرية من هذا الموقف ، وائى تناقض اغرب ، واعجب
من هذا الموقف في تاريخ الامم المكافئة . اننا نشبه الرجل الذى يخاصم جاره
امام القضاء في ارض يقول انها له ، وان جاره اغتصبها منه وفي اليوم التالى يذهب
هو واولاده وبقية هذا الجار المقتصب منزلا جميلا على الارض نفسها .

فهذه الخبرة بين المخاصمة والمهادنة ، لا تؤدي الى النجاح ، في النهاية ، ولو كان النجاح حليفنا في الجولة الاولى .

ولقد رأينا ان بريطانيا كانت تضرب الاسكندرية بالقنابل ، وتصلي الآمنين نار الحميم ، وفي استانبول مؤتمر الزاهرة منعقدة ، وهو يوالى الاجتماعات ، ويصدر القرارات المقيد الدول الا يطعموا في احتلال شىء من الاراضى المصرية والا يظفروا لرعاياهم بغير ما يباح لبقية رعايا الدول من حقوق . ولكن بريطانيا لم تحفل بهذا المؤتمر ، ولا بقراراته لانها تعلم ان الدول لا تخوض الحروب ولا تعلنها ، من اجل قرارات واتانما من اجل مصالح الحقيقة المباشرة . ولانها تعرف فوق ذلك ان الدول لا تقوى على الحروب كلما ارادت ، وانما كلما استطاعت ولذلك فقد رأت تركيا بأعين مفتوحة ان بريطانيا تدير مؤامرة السطو على وادى النيل ، ولكنها بقيت مع ذلك مكتوفة الايدي لا تفعل شىئا ولا تقدم ولا تؤخر ، ولذلك ايضا تأججت سياسة فرنسا وتذبذبت ، وانسحبت اسطولها من مياه الاسكندرية ليلجأ الى مياه بور سعيد ، لان فرنسا كانت اضعف من ان تقبل تشتت جيشها بعد حرب السبعين .

ولذلك فنحن يجدر بنا ونحن نتحدث عن الدعاية والسياسة العالمية ان نفهم هذه الحقائق ، والا نتطوح مع الخيالى ، فالدول للقى ستساهدنا هى وحدها التى تقضى عليها مصيراتها ببذل تلك المساعدة ، والدول التى ستحاربنا ، هى الدول التى تلزمها مصالحها بتلك المحاربة . ولذلك فمن العبث ان ننفق مليا واحدا فى الدعاية ان لم نضع قبل كل شىء سياسة نستطيع بها ان نلأم بين مصالح الدول ومصالحنا . ولا يكفي لاقتناع امريكا ان نقول لها اننا سنقف سدا فى وجه الشيوعية ، ولا اننا سنشتري منها بضائعها ، فانها ستترأى من هذا كله ما لم تر خطرا يهددها وبعيد اليها صوابها . ولا نحسب ان المصريين قادرين على ان يكونوا خطرا على احد طالما انهم على هذا القدر العاقل من التنظيم ، او انهم على هذا القدر العظيم من الفوضى والثروة والقشيت بالفكر المسرحى ، والاقامة فى عالم الالفاظ الغضبية ، ولهتافات الداوية .

ماذا في مجلس الدمام

وهذا يجرنا الى التحدث عما يجب علينا اذا لم ينصفنا مجلس الامن ، الامر الذي يرجعه المتفائلون قبل المتشائمين . ويرجعونه على اساس هذا الصراع الصريح الناشب بين الكتلتين ، الشرقية والغربية ، وحاجة الكتلة الغربية الى جبهة تخضع لسلطانها ، في الشرق الاوسط .

وهذا حديث طويل نجمله في الآتي :

(١) حمايتنا الحزبية في حاجة الى ثورة . فان لم يشعر زعماء الاحزاب بانهم وانصارهم مطالبون بعمل وهم خارج الحكم ، يعمل انتاجي مادي ملموس ، فانه لا امل في اصلاح حالنا . ان الملايين من التابعين لحزب الوفد والاخوان المسلمين وغيرهما من الاحزاب ، ان لم يعملوا شيئا ، ان لم ينظم لهم نشاط لتدعيم الصناعات المحلية والدعوة للتعاون ، ومحاربة الامية ، وان لم تفتح المعسكرات في الارياف ، وعلى الشواطىء لاصلاح اجساد الشبان وتثقيف عقولهم ، وان لم تعقد لهم مؤتمرات سنوية او دورية ، يتعارفون فيها ، ويتلقون التوجيه ، ويلقون فيها البحوث — ان لم نفعل ذلك فانه لارضاء في ان نتقدم .

(٢) لا بد ان ننظم القوة الشعبية ، وان نتعاون الحكومة معنا في ذلك ، فالمؤسسات العسكرية ، غير الحكومية التي نغض الوكالة الصهيونية ، عينها عنها ، هي مؤسسات في نظر الصهيونى رسمية وشرعية ، وهو يؤيدها بالمال . ويدعمها ، ويرى فيها السبيل الى نهجائه . وأمثال هذه المؤسسات هي ضربة لازب على الأمة التي تريد أن تكافح .

(٣) لا بد أن تكون للدبلوماسية المصرية الشعبية سياسة هجومية ، سياسة البحث عن الأصدقاء وعقد الصلات بينهم والانتفاع بنفوذهم وبجرائدكم ، سياسة نهيطة لا تقنع بالخطب ، ولا بالانشرات ، ولا تكون موسمية ولا متقطعة ، سياسة مصطفى كامل الدائمة الدائبة المستمرة المتصلة ، سياسة غنية بالمكبر وبالدرس وبالعامل الصحفي الممتاز .

كلمة التهنئة

إن يوم ١١ يولييه يوم حالك بغيض ، يقطر سواداً و عاراً على رأس بريطانيا ، ولكنه ينفث في عروقنا السم ، إن لم نعرف كيف ننتفع به . ولقد كان هذا اليوم وأمثاله في الماضي ، من الأيام التي لا يعرفها إلا الحزب الوطني ، فلا يحتفل بها سواه ، ولا يتحدث عنها غيره ، حتى ظن الناس أن تاريخ مصر القومي ، هو وقف على الحزب الوطني ولكن حمداً لله لقد زالت هذه الغشاوة ، وفهم الناس أن الأمة في أشد الحاجة الى ما يلهم كبرياءها من أيام عارها .

فليمش إذن يوم ١١ يولييه بين الايام مجللاً بالسواد و ليلهمج في الشعب شعور العزة الجريحة ، وليدفعه الى أن يعمل ، وإلى أن يضحى ، وإلى أن يغسل عن نفسه وعن أبنائه عار هذا اليوم الحزين .

ولنبتهل إلى الله أن نلتقي في العام القادم ، وقد القيمنا بالبرابرة الانجليز إلى خارج أرض الوطن ، وقد نفّض العالم عن نفسه عار الاستعمار ، فازداد تقارباً و تنافهاً وحباً ... آمين .

حافظ رمضان باشا يتحدث*

عن بيان مصر وبيان بريطانيا في مجلس الأمن
الانجليز يذكرون معاهدة ، ويتناسون معاهدات

تحدث سعادة الأستاذ حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطنى عن الخطاب
الذى ألقاه السير الكسندر كادوجان رئيس وفد بريطانيا في مجلس الأمن رداً
على خطاب دولة النقراشى باشا فقال :

لا ريب عندى فى أن القضية المصرية من أعدل قضايا الشعوب ، ولهذا كان
التوفيق الذى ظفر به دولة رئيس وزراء مصر فى عرض تلك القضية توفيقاً باعماً
على الرضا أما ما أبداه رئيس الوفد البريطانى فعليه مسحة الاعتزاز بالقوة البريطانية
لأن ذهب الى أن معاهدة سنة ١٩٣٦ تخرج عن اختصاص مجلس الأمن ، وأنه
لا يجوز المساس بها دون موافقة انجلترا العظيمة . ولم يرد مع ذلك على الاعتبارات
التي أبداهها رئيس وفد مصر من أنها مناقضة للمعاهدات الدولية .

ولا أريد أن أقف عند حد معاهدة سنة ١٨٤٠ وقد أشار إليها دولة النقراشى
باشا وإنما يجب على وفد مصر أن يعيد على ذاكرة المندوب البريطانى أن انجلترا
بعد أن دست مسألة مصر فى « معاهدة سيفر » وألزمت تركيا المغلوبة على أمرها
أن تنزل عن حقوقها فى مصر لانجلترا ، وبعد أن قامت الثروة التركية وقاد جيشها
الغازى كمال أتاتورك وانتصرت جيوشه على أعدائه وأمضت « معاهدة لوزان »
التي رفع فيها نص التنازل لانجلترا أصبحت مصر بذلك مستقلة باعتراف الدول

* عدد الاهرام ١٩٤٧/٨/٨

الموقعة على « معاهدة لوزان » ومنها انجلترا . ومن هنا نرى الفرق الهائل بين الحقيقة وبين ما يدعيه السير الكسندر كادوجان في قوله أن استقلال مصر لم يعلن إلا بموجب تصريح أصدرته بريطانيا من جانبها وحدها ، والحقيقة أن الاستقلال كان موجوداً قانونياً ودولياً عقب إبرام معاهدة لوزان ولا فضل في ذلك لانجلترا وإنما الفضل كل الفضل لتفريق من أبناء مصر من الحزب الوطنى الذى سافر الى أنقره وأقنع رجال تركيا بالألا يكون التنازل لانجلترا كما كان في معاهدة سيفر وبذلك فشلت انجلترا في محاولتها الاستعمارية . أما تصريح انجلترا الذى يشير اليه السير الكسندر كادوجان فهو تصريح بشروط أربعة معروفة للجميع هدت بالاستقلال المصرى من جهاته الأربع . كذلك يتجاهل ممثل بريطانيا أن الحكومة البريطانية في إبان الازمة الحبشية اعترفت بلسان تشمبرلن بمعاهدة سنة ١٨٨٨ وأعلنت احترامها إياها . ولا يكون معنى لهذا الاحترام إلا إذا كان لمصر وحدها الحق في الدفاع عن قناة السويس . ووجه الأهمية في هذا الاقرار أن معاهدة سنة ١٨٨٨ تلتق أصلاً عب الدفاع عن القناة على مصر وحدها ، وقد أمضت بريطانيا هذا العقد الدولى فلما انتوت ايطاليا غزو الحبشة تذكرت بريطانيا من تلقاء نفسها ولم تنس كما يتناسى الآن مندوبها في مجلس الأمن هذه المعاهدة — وذكرت بها ايطاليا وطلبت منها احترامها ، وقد أبلغت لاطاليا وزيرنا المفوض بروما بهذا التذكير ، فأبلغه الوزير المصرى بدوره الى وزارة خارجيةنا .

ثم ماذا يقول السير الكسندر كادوجان في أن وزير خارجية بريطانيا أعلن أمام العالم أجمع أن تدخل روسيا في مسألة « البواغيز » يعتبر هداما لاستقلال تركيا وتدخلها في شؤونها مما لا تسمح به انجلترا خطة السير الكسندر في مجلس الأمن وخطة بلاده قبل ذلك هو محاولة منهما للجمع بين المتناقضين والكيل بكيلين . وفي هذا المعنى تفصيل أوردته في مقال نشرته جريدة « الموند » الباريسية و « واشنطن بوست » الأميركية . فالانجليز يتمسكون بمعاهدة وبقناسون معاهدات ...

أما البراعة التي يذسبون بها إلى ممثل بريطانيا في اتهامه مصر بأنها تريد أن تقرر مبدأ لا نظير له في القانون الدولي ولا ترضى عنه العدالة ، الا وهو مبدأ السكوت على الدولة التي تلجأ إلى تهديد السلم والأمن بمجرد رغبة في التحلل من التزاماتها الدولية . فهو براعة مكشوفة إذ أن الوضع الصحيح هو أنه لا يوجد عدل ولا قانون يسمح لدولة قوية كأنجلترا أن تضغط بجيوش احتلالها على بلد صغير لتعترع منه معاهدة تناقض المعاهدات الدولية وتناقض ميثاق هيئة الأمم المتحدة وهي بهذا التعسف تهدد السلم والأمن . فتلك البراعة هي في قلب الحقائق وعكس الآيات . — قلنا لسعادتته : ألم يكن من الخير أن تكون في الوفد الرسمي للدفاع عن القضية .

فأجاب : أنه لم يحجم لحظة واحدة عن إعطاء كل ما لديه من ملحوظات ومعلومات للوفد وأعضائه . وأعتقد أن الوفد سيبدى هذه الملاحظات وغيرها عند المناقشة يوم الاثنين ، وإذا كانت هناك مسائل امسك الوفد عن ذكرها إلى الآن فلا شك أن ذلك راجع إلى اعتبارات رآها الوفد بحكم وجوده في موقع المساجلة .

أما نحن هنا فيجب علينا أن نقف متضامنين مطالبين بكامل حقنا ولسنا في مقام الحاجة في الألفاظ ، ولا تصيد سقطات هيئات ، وإنما العبرة أننا انتميناهن المفاوضات المباشرة مع الانجليز ودخلنا حلبة الخصام معهم على مشهد من العالم فيجب أن نعازر وأن نعتمد على تضامننا حتى لا تضعف أو يضعف فريق منا ، فنكرر مأساة سنة ١٩٣٦ معاهدتها التي تعص عليها بريطانيا بالنواجذ .

بعد مناقشات مجلس الامن*

من حافظ رمضانه باسا الى أبناء وادى النيل

تلقينا من سعادة الاستاذ محمد حافظ رمضان باشا البيان الآتى :

ايها المواطنون

لقد استمعت كما استمعتم الى مناقشات جلسة الأربعاء الماضى من جلسات مجلس الأمن ، فتيقنت مع الألم الممض أن العالم لا يزال يتعثر فى المساومات ، ويتخبط فى سياسة قوامها الأخذ والعطاء . وكل ما فى الأمر أن السياسة اصطنعوا أسلوبا أنيقا لتغطية حقيقة صراميمهم بغطاء هو فى الواقع شفاف لا يخفى شيئا منها . وإذا وجدت دولة من الدول الكبرى تناصر الحق والعدل ، أو يعرضه ، فقد تصدر فى تلك المناصرة عن غرض قد لا يمت بشيء كبير إلى الحق والعدل .

والظاهر من مناقشات مجلس الأمن أن أعضائه لم يأبهوا بحقيقة لا يمكن نكرانها ، وهى أن المفاوضات مع بريطانيا فشلت فى جميع ادوارها ، فكانت فى فترة الثلاثين سنة الأولى عقب احتلالها لمصر دائرة بينها وبين تركيا ، وقد أخفقت . ثم عادت تلك المفاوضات مع مصر مباشرة ثلاثين سنة أخرى من عهد الثورة ولم تنجح . وسبب هذا الفشل هو أن بريطانيا تريد أن تستبدل باحتلالها معاهدة تقوم مقامه وتحقق أهدافه .

الامرام عدد ٢٢ / ٨ / ١٩٤٧

والعجب أن بعض أعضاء مجلس الأمن الذين نصحووا باستئناف المفاوضات تجاهلوا تلك الحقائق التاريخية الصارخة ، وتجاهلوا ما هو اعظم بل ما هو أدهى ، وأغنى ما صرح به في الحال السير كادوجان في عبارة لا لبس فيها ولا غموض ، كانت خلية أن تنبه هؤلاء الأعضاء ، لو لم يكن للمساومات الشأن الأول في توجيه المناقشات والايماء بمقترحات .

لقد قال السير كادوجان : « يجب أن يكون مفهوم أن المعاهدة ستظل سارية إذا أخفقت المفاوضات . » ومعنى ذلك أن بريطانيا تضع فوق رقبة مصر سيف داموقليس . فإن لم تعطها معاهدة تحل محل الاحتلال وتقفل في وجهها باب الشكوى أمام مجلس الأمن بقيت معاهدة سنة ١٩٣٦ ترهق انفسنا .

فإذا كان أعضاء مجلس الأمن الذين اقترحوا المفاوضات المباشرة قد تجاهلوا معاني هذا التهديد ، فإن واجب وفد مصر أن يبرز هذا المعنى الذي ترمي اليه انجلترا فلعل مجلس الأمن إذا انضمت له هذه الحقيقة أن يفقه أن تنفيذ الجلاء لا يحتاج إلى مفاوضات ثنائية مباشرة خارج المجلس بقدر ما يحتاج الى قرار صريح بوجوب الجلاء وبقصر المحادثات داخل المجلس عن طريقة تنفيذه .

واستأثرت بعد هذا أن أصارح مواطني الأعراف في أن واجب كل شعب يريد الحرية والاستقلال بالمعنى الذي يفهمه الحزب الوطني أن يعيده إلى من يناصر هذا الحق والعدل مهما كانت الدوافع لايها ، ذلك لأن هذا هو الطريق السياسي الوحيد لتلك الأمم فضلا عن امر طبيعي تقضي به الغريزة الانسانية وقواعد الاخلاق في كل زمان وفي كل مكان إذ ليس من السائع أن أقبل اليد التي تصفعني وأنجاهل اليد التي تصافني

ولقد اتبع الحزب الوطني هذه السياسة منذ نشأته ، ولم يعبأ بما وجه اليه من الاتهامات المضللة . فقد اتهمه الانكليز بأنه يريد إستبدال الاحتلال الفرنسي بالاحتلال البريطاني وأنه لا يريد استقلال البلاد وإنما هو صنيعة الأتراك . وحق

في الأيام الأخيرة اتهم الانجليز كل الحركة الوطنية في أعقاب الحرب الماضية بأنها حركة اشتراكية وأنه لا يبعد أن تكون للبلاشفة يد فيها وأعلنوا ذلك في مجلس البرلمان البريطاني . وهنا ألقت نظر رجال الحزب الوطنى وكل صناديق وطنيته ألا يهين تلك الاتهامات شيئا ولا يأبه بها . وألا يجعل لها وزنا في ميزان تصرفه السياسى في هذه الظروف الحرجة .

أريد أيها المواطنون الأعزاء أن نجاوبه الحقيقة وننظر إلى مصالحتنا دون أى اعتبار آخر والأند أيدينا ولا نتعاون إلا مع الدول التى تناصرنا في قضيتنا أمام مجلس الأمن ولانى أرجو أن تكون حكومتنا قد قصدت إلى هذا المعنى حين منحت بولندا مهلة ستة أشهر بعد الميعاد المحدد لدفع ثمن الأقطان المبيعة لها من مصر ، كما أن لنا أسوة في بريطانيا نفسها التى حاربت روسيا والبلاشفة منذ الحرب العالمية الأولى ، وبعد ربع قرن من الزمان تصافت مع روسيا التى لم تغير شيئا من نظامها الاجتماعى والاقتصادى وهو اساس النزاع بينها وبين بريطانيا .

أيها المواطنون الكرام : على الشعب ، وعلى الحكومة أن يعرف صديقه من عدوه وعلينا جميعا أن نوثق علاقتنا الاقتصادية وروابطنا الثقافية مع الدول التى تناصرنا في مجلس الأمن ولنضع خططا عملية لتحقيق الهدف ، ولنتدبر بشجاعة القلب وصراحة القصد ، والعصبر الذى يؤتية الله للمجاهدين .

حافظ رمضان باشا يتحدث :

ماذا أفعل لو كنت مكان النقراشي *

سألنا سعادة حافظ رمضان باشا رئيس الحزب الوطني عن رأيه في اقتراح مندوب البرازيل في مجلس الأمن ، عودة مصر وبريطانيا للمفاوضات فقال :
أظنني آخر شخص في هذه البلاد ، يحتاج الى بيان رأيه في اقتراح البرازيل .
فإننا رئيس الحزب الذي قضى نصف قرن يحذر الناس من المفاوضات ، ويعلمهم شروها ، ويضرب لهم الامثال على سوء مغبثها . وقد اتخذت لتثبيت هذه الفكرة في النفوس ، ولغرسها في العقول ألف سبيل وسبيل ، فخطب وكتب ، وضرب الأمثال من التاريخ ، وتعرض لكل أذى وهو يقوم بهذا الواجب الوطني .
ومع هذا فإن اقتراح مندوب دولة البرازيل في حاجة الى تفصيل ، لانه رأى أبدى من دولة غير بريطانيا ، وفي ظروف دولية جديدة غاية الجدة ، وهو متصل بملاسات دبلوماسية دقيقة .

المساومات الاستعمارية

وأول ما لاحظته أن ماجريات جلسة الأربعاء الماضي أمام مجلس الأمن ، تتم عن أنها دبرت بمهارة ، فلست أعتقد أن بريطانيا أو امريكا قد فوجئتا بشيء مما جاء في خطبة مندوب البرازيل ، واذا كنت أقول ذلك على سبيل الترجيح

* عدد أخبار اليوم ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤٧

بالغلبة لبريطانيا ، فهو على سهيل القطع بالنسبة للولايات المتحدة . ولم يكدمندوب
البرازيل يلتقي اقتراحه ، ثم يتكلم مندوبا روسيا والصين ، حتى وقف مندوب إنجلترا
ليقطع في الحال ثمرة ماذر في الأروقة ، وما نسق في دهايز المساومات
الاستعمارية ، واقبية المطامع القديمة الرجعية .

بطرس معاهدة ١٩٣٦

أنا لايمنى كثيرا أن أقف امام تفاصيل هذا البحث القانوني الذي خاض فيه
مندوب البرازيل لان خلاصته ان معاهدة سنة ١٩٣٦ قائمة . وانما الذي احب ان
اضعه تحت نظر كل مواطن في وادي النيل هو هذه العبارة الصارخة التي تضع
ايدينا على اول الخيط . قال مندوب البرازيل :

« ولم تتخذ الحكومة المصرية من جانبها قرارا يقضى بعدم الامتثال للمعاهدة
التي استنفذت في رأى مصر أغراضها بل على العكس سعت الى تسوية أوجه
الخلاف عن طريق المفاوضات المباشرة مع المملكة المتحدة ، والوفد البرازيلي
يرى أن هذه المفاوضات يجب أن تستمر . »

وليس لهذا الكلام سوى معنى واحد هو أن مندوب البرازيل ينعى على مصر
أنها لم تعلن بطلان المعاهدة ، أو أنها لم تعلن عدم خضوعها لها ، أو تحللها منها .
ولقد دأبنا منذ انتهت الحرب ، على طلب إعلان هذا البطلان ، وقد كنا لاستطيع
أن نفر عن هذه الدعوة ، لأن الساسة البريطانيين كانوا كل يوم يعلنون تمسكهم
بالمعاهدة ، ويعتبرونها قيما يلزمنا حتى آخر المدى ..

ولما بدأت المفاوضات حذرت المفاوضين أن يقدموا مشروعات وأن يدخلوا
في التفاصيل ، لان ذلك كله سيكون معناه أن المعاهدة قائمة ، وأن البحث يدور
حول تعديلها ، بينما كان الواجب أن نطلب الى بريطانيا الجلاء عن الوادي كله ،
وهي التي تعرض ما نشاء من المشروعات ، فرفضها جميعا ما لم تكن متضمنة الجلاء

عن الوادى كله بلا قيد ولا شرط وبلا مقابل نبذله من جانبنا .

وأنى لا ذكر أن أحد أعضاء الوفد المصرى لمجلس الامن ، كان يزورنى وأنا مريض ، فمناشدته أن يراجع نفسه وزملائه فى وجوب إعلان بطلان المعاهدة ، وابرار صفات « النزاع » وخصائصه فى الموقف القائم بيننا وبين بريطانيا ، فقال أنه يكره أن توصف مصر بأنها فسخت المعاهدة من جانبها ، وأنها تخرق حرمة الانفاقات ، فسمعت هذا الجواب متألماً ، لأننى لا أعرف أن الطريق الى الحرية ، طريق وردى حريرى ، لا يتعرض فيه طاب الحرية للاذى أو الاتهام أو النقد . ولأننى أعرف أن الحرية ستبقى بعيدة عن ايدينا ، اذا لم نشق طريقنا اليها بالاكتاف .

فى برائن الطمع الانجليزى

واست أحب أن أفرغ من التعليق على رد مندوب البرازيل ، قبل أن أشير الى أن المفاوضات التى أقترح العودة اليها ، غير محددة بشئ . فلم ييسد من قوله انه يقترح المفاوضات فى الجلاء الذى أعلنت بريطانيا قبوله . فكأن دولة البرازيل تريد أن تلقينا فى برائن الطمع البريطانى ، لينتزع منا معاهدة ، تحل محل الاحتلال ، وتقوم مقامه .

مرب تالته ورابعة

واست ممن يحبون التحويل ، ولا يميلون الى الاسراف فى التهديد . وانما لا أجد مفرأ من أن أحذر البرازيل والذين اتفقوا معها على وضع هذه الخطة الظالمة ، من عاقبة هذا المسلك الذى سلكوه . فان المعاهدات الثنائية هى موطن لجرائم النزاع الدولى ، وهى مثار الحروب ، ومصدر الخلافات ، فاذا كانت هيئة الامم وهى فى فخرحياتها ، تبارك المعاهدات الثنائية ، حتى بين الدول الصغيرة والكبيرة وحتى فى ظل التهديد بالاحتلال .

فلتنتظر البرازيل ، وتنتظر الولايات المتحدة ، والعالم بأسره حربا ثالثة ورابعة ... والله وحده الذى يعلم من سيكون صغيرا من الدول ومن سيكون كبيرا فى أعقاب تلك الحروب . ومن سيطلب الانصاف ومن سيعطيه .
لقد انعظ الشعب فى القصص الخرافية برأس الذئب الطائر ، ولكن واحدة من الدول الكبرى لا تريد أن تنعظ بدولتى اليابان والمانيا ، وقد تدهورتا من مكانهما العالى بين الامم .

لو كنت مكان النقراشى

ثم سألتنا سعاده : ما تفعل لو كنت مكان النقراشى ؟

فاجاب على الفور وفى حماس : ان الفرصة لم تضع . فالنقراشى باشا يستطيع أن يعلن فى الحال ، كما فعل كادوجان ، ان بلاده ان ترتبط بعد اليوم بالمعاهدة ، وهى تعتبرها باطلة ، وهى تعلن الامم بهذا البطلان وسترتب سياستها ، وتدير أمورها وخارجية على هذا الاساس .

أما ماذا يفعل عند عودته فهذا يتوقف على ما اذا كان ينوى أن يقود من مقعده الحكومى ، الحركة الوطنية . ام سيواصل سياسة انصاف الامور .

فاذا اختار لنفسه الشرف العظيم ، وقرر ان يوجه الحركة الوطنية او يساهم على الاقل فى توجيهها ، فعليه ان يقطع كل صلة سياسية واقتصادية بينه وبين بريطانيا فيسحب السفير المصرى ، ويكسف الشعب والحكومة عن تموين القوات البريطانية العسكرية فى القنال وما حولها ، وتقاطع مقاطعة تامة ، ويطالب الى الجامعة العربية لتنظيم هذه المقاطعة فى الشرق العربى كله . ونبادر بتقوية دفاعنا ، واستيراد ما يلزم لهذه التقوية من كافة الدول ، عدا بريطانيا ، ولو من روسيا نفسها . ونحطم (قوقعة) الخوف التى وضعتها فيها سياسة بريطانيا فننشئ علاقات وثيقة ثقافية وسياسية بكل الدول التى اعانقنا فى مجلس الامن ، فنوفد اليها كتابنا ، ونشجع شبابنا الذين يطلبون العلم فيها .

ونشأ سلاح الدبلوماسية المصرية على النحو الذى عرفته الوطنية المصرية
فى عهد مصطفى كامل . فنطلق كتابنا وخطباءنا فى المواطن الحساسة للسياسة
الدولية ، يكتبون ، ويخطبون ، وينشئون صداقات ، ويهنون المفكرين
والسياسيين والنواب ، بما يعين على مناهضة سياسة الاستعمار البريطانى الذى
تؤيده الآن الولايات المتحدة .

اننا لا شك ستصيرنا جروح فى هذا السبيل ، بل لا بد ان تقع منا ضحايا .
ولكنى لا اعرف حركة وطنية تقوم كلها فى صفحات الجرائد ، وعلى اعداد
المنابر ، فلا بد ان ندفع المهر الغالى الذى كتب للحرية فى كل عهد .

ولا بد قبل ذلك ، ان نهيم شبابنا لهذا العمل الطويل الشاق ، فنطهر حزبتنا
من روح استغلال الشبان ، دون تنظيمهم او تثقيفهم او تدريبهم . هذا البرنامج
متماسك لا نكاد نبدأ فى جانب منه ، بروح العزم والاصرار ، حتى تراك مضطرا
الى اكمال كله .

المعول على الشعب

ثم سألفنا سمعته بعد ذلك : هل لديكم اقوال اخرى .

فقال : نعم ، وضرب يده المنضدة . ثم قال :

اناشد الشعب ان يراجع حساب ثقته التى بذلها جزافا طوال ربيع قرن . عليه
أن يضع هذه الثقة فى الذين اخلصوا له النصيح ، وهدوه سواء السبيل . عليه ان
يعرف ان الذين زينوا له المعاهدة قد خدعوه ، وزينوا له الحق وجعلوا الباطل ،
عليه ان ينحى هؤلاء عن طريق الوطنية المصرية ، وان يطالب اليهم ان يقبعوا
فى دورهم فلقد لعبوا دورهم كما حددته السياسة الكروصرية . عليهم ان يخلوا
الطريق لوطنيين دعوا الى محاصرة بريطانيا ، وحذروا من شر التعاون والتحاليف
أو التعاقد معها . وبهذا تطهر السياسة المصرية من الكيدر الذى شابهها ، وتدفع
الامة الى ما يكتب لها الشرف ، أو الحرية ، أو كليهما معا .

* خطاب سياسي لرئيس الحزب الوطني

الاسكندرية في ٢٨ — لمراسل الأهرام . أقامت لجنة الحزب الوطني بالاسكندرية في الساعة الخامسة بعد ظهر اليوم اجتماعا سياسيا عاما في مسرح المواساة حضره جمع كبير من أعضاء الحزب وأنصاره . وألقى فيه سعادة حافظ رمضان باشا رئيس الحزب ، خطابا ضافيا ، عن الموقف السياسي .

بدأ سعادة محمد حافظ رمضان باشا خطابه بأن حيا الحاضرين ثم أشار الى أن الحزب الوطني في إجتماعاته الماضية كان يجدد العهد في وقت ظروف قاسية ، وأوقات مظلمة . ومع كل هذا فقد ثبت ، وكان يجدد نهده بين أعضائه من وقت لآخر . أما اليوم فقد جاء تجديد العهد في وقت هو من أسعد الأوقات ، إذ وصل فيه الوعي القوي الى ذروة جعلت الخطاطين يستغفرون لذنوبهم والمضللين يتذكرون لماضيهم .

ومضى بعد ذلك فقال : نجتمع اليوم لتجديد العهد في هذه الأوقات السعيدة . وإني أصرحكم القول أنه لولا جلالته حقكم ، ولولا دوى مطالبكم الوطنية ولولا ثباتكم وصدق عزيمتكم ، ما كنا نسمع اليوم صوت مصر يملأ الأذان . ويرتل أناشيدكم التي لفتتموها لمواطنيكم منذ زمن طويل تلك الأناشيد المحببة لكم والتي تتضمن الجلاء ووحدة وادي النيل .

ولا أخفى عليكم أن ما وصلنا إليه الآن إما كان نتيجة لمعركة بين الحزب الوطني والاحتلال البريطاني ، معركة قد لا تظهر واضحة أمام قصيري النظر ، لكنها بيئة المعالم للذين درسوا حياة الشعوب وتطوراتها .

* الأهرام عدد ٢٩ / ٨ / ١٩٤٧

فالغاصب كان يحاول دائماً أن يفر بألفاظ الصداقة والاعتماد عليه. والحزب
الوطني إنما كان يدعو الشعب الى مقاومته ومحاربه ، والى التحذير من الهداء
السياسى ، الذى يتوسل به المستعمرون دائماً للسيطرة على الأجانب والمخدوعين.
ولو اقتصرته هذه المعركة — معركة الشعور الوطنى والاحساس بالشرف —
على الحزب الوطنى والاحتلال البريطانى لما دامت سوى فترة قليلة. غير أن ضعف
القلوب من أبناء هذا الوادى والمتها الكين على المال والجاه ، انضموا الى صفوف
الاحتلال . لهذا دامت تلك المعركة خمسة وعشرين عاماً . ولا ريب عندى كما
ان البلاد كانت ستخسر حريتها الى أجيال عديدة لا يعرف إلا الله دداها اذا
قدر للحزب الوطنى أن يخسر هذه المعركة لأنها معركة الفضائل الوطنية والشعور
القومى والاحساس بالشرف من جانب ، والاستسلام والتسليم للغاصب من جانب
آخر ، وما من أمة فقدت عقيدتها الوطنية إلا فقدت حريتها .

لقد ولت رئاسة الحزب الوطنى فى تلك الظروف ، وأعضاء الحزب مشتعلون
بين السجون والمناقب ، فخطبت الجماهير وحادثت الصحف وشرحت قضية البلاد
على المنابر ، داخل البرلمان وخارجه . ووجدت من أبناء هذه البلاد فريقاً من صادقى
العزم ، ثابتى الجنان كانوا عوناً كبيراً لاداء مهمة هى فى الواقع أكثر شدة وأكبر
هولاً من خوض موقعة حرية يسمع فيها صليل السيوف ودوى المدافع . وليكنها
تنتهى بعد أيام أو ساعات . أما معركة الوطنية ضد الاحتلال لمعركة جهاد
شاق طويل مؤلم مخزن .

وإنما أذكر هذا الماضى الذى قضيته وأذكر معه إلى لم أشأ خلال شدائمه أن
أسكب دموعاً واحدة حزينة حتى لا أدخل اليأس والوهن فى قلب هذا الشعب
المكرم . فاسمحوا لى الآن أن أسكب دموع الفرح والمرور إن وانا الله بهذا
الظفر الذى يقضمنا فى الواقع أن نجدد العهد بيننا لخوض غمار معارك أخرى
تنتظرنا فى القريب العاجل .

يبد أنى أشاطر كم ألا تزهو بمتيجة عملكم وألا تفاخروا أحدا . فالله يغفر
للخاطئين ويرحم المضللين . أما الوطنى فبستعين بالله من هؤلاء وأولئك . ونحن
ندعو الله أن يضمموا الى صفوف الوطنيين الصادقين فى المراحل الآتية حتى
لا يجد الغاصب عوناً من بعض أبناء البلاد كما وجد ذلك فى الماضى القريب .
فان الساعة ساعة اتحاد وتطهر .

وهنا استرسل سعادته فى شرح أدوار القضية قبل سنة ١٩١٩ وبعدها وإبان
الخطأ التى ارتكبت ومحاولات بريطانيا لانجاح سياستها فى ميدان السياسة
الدولية . ومحاولتها نهائياً بأن تتخذ من الاتفاق مع مصر ما قد يؤثر على مركز
مصر السياسى من الجهة الدولية .

معارك المستقبل

ثم قال : نعم أيها الاخوان . أمامنا ميدان السياسة الدولية ، وميدان العمل
الداخلى ، وقد قلت قبل اليوم أن واجبنا فى السياسة الدولية بقتضينا أن نعان
بطلان إتفاقيى سنة ١٩٣٦ و١٨٩٩ وأن نتعاون ما استطعنا مع الدول التى تؤيد
وجهة نظرنا جهرية وعلائية . ونبدأ بمخاصمة الغاصب بأن نسحب سفيرانا من
لندن ، وأن نقطع علائقنا السياسية والتجارية معهم ، وأن نوجه كل جهودنا
الداخلية أولاً إلى تعزيز قوة دفاعنا ، فنحسب كل ما نستطيع حبسه من أموال
الدولة واحتياطها لتكبير الجيش وإنشاء المصانع التى وقفت البعثة العسكرية
فى سبيل إنشائها ، وهى مصنع الذخيرة والاسلحة والطائرات .

ويحضرنى فى هذا المقام ما جرى بينى وبين القائم بأعمال المفوضية البولندية
قبل الحرب الاخيرة . فقد أخبرنى عند استعداد حكومته لمد بلادنا بالاسلحة
وبمصانع الاسلحة والطائرات ، وحاولت مع وزير الدفاع وقتذاك أن تنفذ تلك
المشروعات وتقبل تلك العروض ، ولكن البعثة البريطانية وقفت فى وجه التنفيذ .
فلما قامت الحرب باعت لنا بريطانيا نفس تلك الاسلحة بأضعاف أضعاف الاثنان

التي عرضتها علينا بولندا ، مع أنها كانت قد استعملت حق كادت تبلى ، فلم تكن
البعثة العسكرية البريطانية سوى بعثة تجارية استخدمت أقبح أساليب الوسطاء
والسماسرة .

السبيل الى التنفيذ

ولا يتساءل أحد كيف يكون التنفيذ ، فإن ذلك في يد الشعب ، والشعب إذا
تنبه قال ، وإذا قال فعل . ولنا في ماضى جهادنا أسوة حسنة .

ولما فن الذى كان يستطيع أن يقول منذ بضع سنوات إن مبادئ الحزب
الوطنى تصبح اليوم حقيقة بعد أن كانت خيالا ؟

ألم تروا أنهم كانوا يهددوننا بشيخ الفشل والخيبة ، فاصبح هذا الفشل يحد
فى أثرهم .

إن سبيل التنفيذ قد رسم فى كل كتاب سماوى ، وبين فى تاريخ كل حركة
وطنية . فلتصفحو تاريخ العرب فى عهد الدعوة المحمدية الكريمة ، ولتقرأوا
تاريخ المسيحية كيف بدأت وكيف انتشرت وكيف قامت على أسسها الدول .

ولتقرأوا تاريخ مصر فى عهد محمد على . ولارلندا تحت قيادة الشين فين ...
ففى كل هذه الصفحات تتكرر الآيات ويتأكد المعنى .

فلا بد أن تؤمن فنعمل ، إن الله لم يكف عن مخاطبة عباده الصالحين فى كتابه
المنزل بهذه العبارة « يا أيها الذين آمنوا وعملوا الصالحات » .

وقد بدأ نور الايمان بشرق فى القلوب . ولكن لا بد أن يتوغل فيطرده من كل
قلب آخر بقايا التردد والاستسلام ، والخوف من مجاهدة الغاصب . ولا بد أن
يتضامن المؤمنون فلا يتفرقون فى معسكرات صغيرة متعددة . ولا بد أن يقضوا
على وباء الزعم والظهور والتنافس على الرئاسة ، لتخرج لنا وحدة قوية ، ولتنب
بسواعدنا جبهة توهن الصخر . ولا يزيدنا الزمن إلا ثباتا . وهذا أعان بأعلى

صوتى بأنى أصغر جندى فى ميدان الجهاد الجاد الصارم . وبأن عند التزامى على
الجلاد والصراع سيحتل المكانة الاولى من بذل أكثر من سواء ، فاذا استقر
الايمان فى القلوب ، ونظمت الصفوف ، واختفت هذه الفرق الصغيرة مندجبة
فى جيش الوطنية الاكبر ، وجب أن نقضى على آثار الماضى .

فالذين دعوا إلى المهادة ، والذين صاحفوا بد الغاصب والذين حثوا على
مصادقته والتحالف معه ، عليهم أن يتركوا السبيل ويفسحوا الطريق لايمان
جديد ، ومدرسة جديدة وسواعد جديدة وعلى الشباب أن لا يحياوا هذا الماضى
بمحاولات بريئة وليكنها ضارة .

وهنا قال سعادته أنه يشق على كثيرا أن نرى إلى جوارنا الصهيونيين ، وقد
أقاموا مستعمرات اقتصادية ومزارع وحولوها إلى جنات بسواعد الشباب
المدرّب ، ونحن ندعو إلى إنشاء صناعة كبيرة فى مصر الفتية ، ولانجد لهذه الدعوة
صدى مجيبا .

واختتم خطابه قائلا : وإنى لابعث فى الختام تحية مقرونة بالاعجاب إلى سوريا
ومندوبها العظيم ، وإلى روسيا وبولندا ، وليعلموا جميعا أننا ان نفسى جميل من
أحسن إلينا ولا إساءة للمسيحيين .

رأى حافظ رمضان فى :

١ - الموقف الحاضر

٢ - هل نقوم فى مصر ثورة ؟

دار هذا الحديث بين المستر ويليامز فرارى من مجلس الصلوات العامة بأمرىكا وبين حافظ رمضان باشا .

وقد قام بترجمة الحديث بينهما الاستاذ عبد الخالق ثروت .

لا استثمار عسكريا ولا ماليا

سأل حافظ باشا عن رأيه فى الموقف الحاضر فى مصر ..

فذكر سعادته أن جهود مصر كلها الآن منصرفة الى إزالة الاستثمار البريطانى العسكرى ، وكذلك الاستثمار المالى اذ يجب أن تتخذ الخطوات نحو تأمين البنك الاهلى ونصحيح الموقف الحاضر الخاص بطريقة تغطية أوراق البنكنوت . كما أن مصر تتعاون مع جاراتها وتقوى علاقاتها مع الشعوب العربية ومع كافة الدول الصديقة التى تناصر الحرية ، وهذا مع تنمية مواردها التجارية وتشجيع المشروعات النافعة . وذكر المراسل أن الحكومة البريطانية قد انفتحت عن بذخ وسعة أموالها طائلة فى سبيل كسب شعور مجلس الامن والرأى العام الأمريكى ولقت حافظ باشا نظره الى أن هذه الاموال استنزفت من جيوب انصريين وغيرهم من ذوى الحقوق المهضومة .

* اخبار اليوم عدد ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٤٧

مدى نفوذ الحزب الوطنى

وسأله المراسل بصفته رئيسا للحزب الوطنى عن مدى نفوذ الحزب ..

فقال حافظ باشا إن الحزب الوطنى كافح لاجل خطة هى الا مفاوضة الا بعد الجلاء وقد كانت هذه الخطة موضع خلاف بين المصريين ، فأصبحت الآن موضع الاجماع المطلق ، وانه فى العهد الحديث قامت هيئات كثيرة لكنها جميعا تدين لخطة الحزب الوطنى ، ولذلك فإن من السهل أن تتفق هذه الهيئات والاحزاب مع الحزب الوطنى . وان مما ساعد على توطيد هذه العقيدة فى نفوس المصريين كافة حادث ٤ فبراير ، حين ظهر الانجليز على المسرح سافرين ، بينما كانوا قبل ذلك يحققون أغراضهم من وراء الستار .

ذكر حافظ باشا أنه يعتبر ان قيام ثورة فى مصر الآن سابق لاوانه ، وأنه يجب حين يدعو الداعى الى الثورة أن تشترك معنا شعوب الشرق كله ، فهم يشاركوننا نفس الشعور ، وقال ان سكان مصر يبلغون عشرين مليون نسمة . وأن الدول العربية المجاورة يبلغ عدد سكانها حوالى خمسين مليوناً لذلك فإن من مصلحة أمريكا أن تكسب صداقة مصر وصداقة هذه الشعوب .

امريكا تسمى بسمها

وقال أنه يستسيغ أن تساعد أمريكا صديقتها انجلترا ، ولكنه لا يفهم كيف كيف تصل هذه المساعدة الى درجة التضحية بسمعة أمريكا ونفوذها !

الاستعمار الانجليزى سبب الجهل والفقر والمصر

وقال : إننا نعزو ما نحن فيه من جهل وفقر ومرض الى وجود الاستعمار ، ولقد وصفت حالتنا هذه لاحد رجال أمريكا وهو مستر بريجتون ، فكان لطيفاً منه أن يعترف بأنه يقرأ على حوائط مصر أن الاستعمار هو سبب هذه الحالة

الغضبية . إننا لا نريد إلا أن نحصل على استقلالنا وحرياتنا ، ونحن بذلك لانتهى
الكراهية والعداء لأحد . وإن مصر لا تريد أن تتخلص من مستعمر لتقع في
أحضان مستعمر آخر .

وقد ذكر حافظ باشا محدثه أنه لم يزر أمريكا أخيرا نظرا لأزمة الدولار ،
وأنه قد بلغه أن أمريكا على استعداد لأن تمنح مصر قرضا قدره مائة مليون
دولار ، بشرط أن تصل مع إنجلترا الى اتفاق .

وقال إنه يرجو أن تعطينا أمريكا نصف هذا المقدار فقط وتتنازل عن
الشرط المذكور !

وقال إن من حسن حظ أمريكا أنها تخلصت من الاستعمار بل الاستعباد
البريطاني منذ حوالي قرنين من الزمن ولولا ذلك لظل رابضا فيها الآن . وإن
أمريكا قد ذاق مرارة هذا الاستعمار لهى أولى الدول فى أن تساعد الشعوب
الناهضة على التخلص منه .

واستطرد فذكر أن واجب العالم هو إيجاد وحدة اقتصادية عالمية وإزالة
الحواجز والعوائق الجمركية حتى تتساوى الفرصة لدى جميع الشعوب الى طريق
الرفق والانتعاش وبذلك تتلاشى المطامع الاستعمارية .

* ونأقنا أمام مجلس الاصل

لا بمشروع شيء له صلة بتخصير خصومتنا ضد بريطانيا ، حتى يتولانا سرور
لا يغيب عنا سره .

فالعقيلة السياسية المصرية الآن ، تفتقل بهذه الخصومة ، إلى دور نقاهة ،
نرجو أن يتصل بالشفاء التام ، ونعني بالنقاهة ، هذا اليأس من أن نعال حقنا أو
بعضه بطريق المساومة والمفاوضة ، ولعل من أعراض هذه النقاهة ، أن تقول
الحكومة المصرية في إحدى وثائقها الرسمية ، المذاعة أن بريطانيا لا تقاوم وحدة
وادي النيل إلا لأنها تخشى أن تقوم في هذه الرقعة من الدنيا ، دولة شاذجة تبلغ
عدة بنيتها نحو ٢٥ مليوناً وتجتمع لها هذه المكانة التاريخية الفذة ، وهذا النهر
الفريد وهذه الخيرات العميمة ، وقد كان ذكر مثل هذه الحقائق الثابتة ، وقفا
على الكتاب الذي يوصفون بل يوصمون بأنهم متطرفون ، يبقون الفتنة أو
لا يخشون السجن .

ولكن ما كدت أفرغ من تناول هذه الكراسات الصغيرة ، الجافة ، التي
أعدتها وزارة الخارجية ، والتي أعدتها هيئة المستشارين ، حتى أحسست بأحاساس
المحامى الذى يطالع قضيته ، فيرى فيها أوراقاً ، ذات قيمة ولكنها ليست كل
المطلوب ، أو ليست عين المطلوب ... ولقد رأيت أن التفتيه إلى استكمال هذه
الوثائق ولقت النظر إلى نوع خاص منها ، لا يجب أن يتم همساً ، بل إن النفع فيه
يتأكد ويتضاعف لو تم علناً . إذ أن قضية وادي النيل ، ليست قضية ، حقاً ،
إنما هي كذلك مجازاً ، والحق أنها معركة ونضال ، وقد سميت كذلك لأن الذين

* جريدة الاهرام .

دافعوا عنها خلال ربع قرن أو يزيد كانوا من المحامين الذين نقلوا من مصطلح
فهم إلى هذه المعركة الشائكة الألفاظ والأسماء ...

فهى معركة ، ولا أمن فى نجاحها ، ما لم يتجهى شعور الشعب لها ويشارك فى
تتبع مقدماتها ومسيرة تفاصيلها ، والاستجابة العاطفية لكل ما يسبقها . من هنا
ألفت الأمم على توديع جيوشها إلى ميادين القتال ، كما تودع العروس فى يوم
الزفاف ، أى بالتهليل والتصفيق ، والخطب والقصائد ، وعقود الزهر وصيحات
التعجيد والتكبير من النساء والأطفال ...

فلنقل علنا إذن وعلى مسمع ومراى من الأمم قاطبة أن الحججة الكبرى التى
تتذرع بها بريطانيا وتقيم عليها دفاعها أن مصر ارتبطت بمعاهدة سنة ١٩٣٦ كما
ترتبط الأمم بالعقود ، وأن ميثاق العصبة لم يأت ليشيع روح النكث بالعهود .
وأن الاكراه الذى أبطل هذه المعاهدة لا أثر له فى غير خيال المصريين ، بدليل
ما قاله كل زعيم من المصريين الذين وقعوا المعاهدة .

وقد اوردت الاجبيشيان فى الشهر الماضى مختارات منها تفيض بالتأييد
للمعاهدة والفخر بها .

ولنقل للامم ايضا ان ما تنكره بريطانيا من تكرار عدوانها علينا ليس إلا
من الواقع الذى تثبته الاوراق التى تفيض بها ملفاتها الرسمية .

ولقد شاعت الصدفه السعيدة أن ألتى اليوم سعادة حافظ رمضان بأشأ رئيس
الحزب الوطنى ، فإذا به يؤيد ما ساورنى ويقول انه يود ان يقترح على الحكومة
أن تستخرج من ملفاتها الاوراق الرسمية المثبتة لدخول بريطانيا الصريح ، بعد
عقد معاهدتى سنة ١٩٣٦ وهونترو فى سنة ١٩٣٧ لتكشف للعالم كيف كانت
الحكومة المصرية تعانى ضغطا فى الصغيرة والكبيرة من أخص شئوننا التى لا نهم
بريطانيا ولا تعكر أمننا .

وقال إن من الأمثلة التى يذكرها فى عهد وزارة محمد محمود باشا فى سنة ١٩٣٨
ان السفارة البريطانية طلبت رسميا وكتابة ألا تقدم تشريعات الضرائب الجديدة

لمجلس البرلمان إلا بعد أن يتصل السفير بحكومته في لندن وقد أبقى يومها حانظ باشا الاستماع إلى هذا الطلب العجيب فلم يلتفت إليه . وفي سنة ١٩٤٥ طلبت السفارة البريطانية كتابة أن تكلف إحدى شركتي هندسيتين وكهربائيتين لتنفيذ مشروع من المشروعات . وفي سنة ١٩٤٤ طلبت كتابة أن يعزل رئيس إحدى الجمعيات بدعوى أن القيادة الجوية العليا البريطانية والقيادة العامة في الشرق الأوسط طلبتا ذلك — وفي الانتخابات طلبت رسمياً وكتابة إسقاط مرشحين ومنع بعضهم من الترشيح . وفي عهد الوزارة الوفدية عرضت الوزارة أيضاً على قانون مكافحة الأمية لأنه يتضمن تمييزاً مجحفاً للأجانب ...

هذه الوقائع يجب أن تظهر وأن تعد ، وأن يطلع عليها الرأي العام العالمي ليحكم ضميره قبل أن يحكم قضائته بأن بريطانيا كانت ترغب بالحكام في مصر بما لا يحبون ، وتلزمهم بما يكرهون ..
هذه الوثائق لا يكمل ملف دعوانا بدونها ، فلتبحث عنها الحكومة ، وهي لن تجد في ذلك السبيل عناء ولا عناء .

فقهى رضوان
المحامي

مصر والولايات المتحدة*

لقد كان صوت الدكتور أبوشادي المنبث من الولايات المتحدة صوتاً هادياً وقد أيد عندى كل جزئية من إيمانى بما يجب ان تكون عليه الدعاية لقضية وادى النيل فى امريكا وفى غيرها .

الدعاية ، هى جزء من السياسة ، تهد لها أولاً ، وتنفذ أغراضها ثانياً . بل هى كالجيش ، يحارب ويناضل ، ويرسم لنفسه الخطط الحربية ، ولكنه مع ذلك لا يتجاوز النطاق الذى ترسم الدولة لسياستها . فاذا انطلق الجيش على غير هدى ، عاد على بلاده بالويل ، واتفى الغرض من وجوده .

ولكن هذه الحقائق الكبرى ، لا تستوقف نظر أحد منا ، ولا تنير فى نفوسنا ما تستحقه من العناية بها ، فنحن نحسب ان الدعاية ، هى صوت نفتح له أفواهنا فيه نطابق . ثم نوجهه بعد ذلك ذات اليمين وذات اليسار ، فيأتى بالنتيجة فى الناحيتين ، بلا تقييد فى درجته ، أو طبقته ، أو نعمته . وهذا عندى هو العبث عينه . ولا تزال الفكرة التى تقوم فى أذهاننا للدعاية ، أنها خطب تلقى ، أو نشرات توزع ، أو على الاكثر اجتماعات ومؤتمرات صحفية تعقد ، وهذه كلها ضرورية لأنها المظهر الخارجى للدعاية ، ولأن الدولة فى حاجة إلى أن تعلن للدول وللشعوب أفكارها بصفة عامة . ولكن الاجتزاء بهذا هو اكتفاء بالمظهر ، ووقوف عند السطح . والدعاية التى لا تعتمد إلا على هذه الوسائل هى فى حقيقة الأمر ، أشبه شئ بالقصور التى تبنيها شركات السينما ، يأخذك منها ظاهر فانس ، فاذا استدرت خلفها ، وجدت لوحاً خشبياً رقيقاً ، لا يخفى وراءه شيئاً .

* الامرام فى ١٨ ابريل سنة ١٩٤٧

ولعل مرد الخطأ عند الكثيرين في فهم الغاية من الدعاية وأساليبها ، وأساليبها ، أنهم يحسنون الظن بالحكومات والشعوب ، وأن طبيعة الخير عند الناس كافية ، للتحدث إليهم عن حقوقنا ، حتى نستدر منهم العطف ، الذي يتبعونه بالمظاهرة ثم التأييد . والحق غير هذا .

إني ضارب للقارىء مثلاً .

في سنة ١٩١٨ وضعت الحرب الكبرى الأولى أوزارها . وكان الارلنديون قد بدأوا يكافحون من أجل حقهم كقفاحاً جديداً . فاتهموا بابصارهم الى مؤتمر فرساي كما اتجه المصريون . وكان قد بدا أن الولايات المتحدة ستحتل المكانة الدولية التي احتلتها فعلاً بعد خمس وعشرين عاماً ، عقب الحرب العالمية الثانية . وأحس الارلنديون أن من واجهم أن يوفدوا الوفود الى الولايات المتحدة لتقف في صفهم . فانظر كم كانت نتائج هذه المحاولة عظيمة في الظاهر ، ونافعة في الواقع .

ففي الولايات ملايين تجرئ في عروقهم دماء ارلندية ، بل فيها مدن أو قلا ولايات تكاد تكون ارلندية من مذبت الشعر الى اخمص القدم ، فأمل الوطنيون في أيرلندا أن اخوانهم في الولايات ، يستطيعون أن يكسبهم عطف حكومة هذه البلاد الضخمة ، وأن يوجهوا سياستها الى مافيه انصافهم ورد الحق اليهم . وكان اللامل ما يبرره ، فقد تألفت جمعية اخوان ارلندا الحرة ، أو جمعية أصدقاء حرية ارلندا . وفي ١٠ من ديسمبر سنة ١٩٢٢ اجتمع جمع غفير في ميدان ماديسون وأعلنوا تأييدهم لقضية ارلندا ، ثم التأم مؤتمر الجنس الارلندي في فيلادلفيا في سنة ١٩١٩ ، فوفد له خمسة آلاف مندوب من مدن الولايات المتحدة المختلفة . ثم افتتح اكتباب لمجمع التبرعات للقضية الارلندية تجمع في أتل من ٦ شهور مليون من الدولارات . وفي يونيه سنة ١٩١٩ وصل ديفاليرا ، وجعل يذرع الولايات المتحدة شمالاً وجنوباً ، فيقابل في كثير من المدن استقبال الغايزي ، ويطوق بأكاليل الزهر ، ويغمر بالحب والعطف . وفي يونيه سنة ١٩٢٠ ، انقعد مؤتمر

الحزب الجمهوري ، لبحث سياسة الحزب التي سيمتد بها في معركة الانتخابات لرئاسة الجمهورية ، فوضع من قراراته تأييد الجمهوريه الارلندية - التي كانت أملاً بعد ، أو جنيهاً في بطن الغيب - ثم انعقد مؤتمر الديمقراطيين ، فتابع الجمهوريين فيما ذهب اليه ، وحسب الارلنديون ان هذا كله سيؤدي الى مساعدة سياسة من الولايات المتحدة ، ولكن هذا كله لم يسفر عن شيء ، فقد وقفت الولايات من نضال الارلنديين بعد ذلك موقف المتفرج ، ودار بين ارلندا وبريطانيا ، نضال حار دام ، انتهى أمره الى ما يشبه التمثال الرسمي بين دولتين . ذلك لأن الولايات المتحدة كانت قد رفضت أن تتدخل في شئون أوروبا ، وتشهدت بأهداب العزلة .

فالدعاية التي لا تتصل بالمصالح ، ولا تخاطب سوى العواطف ، تعزى للكافرين وتسليمهم فيما يحل بهم من كوارث الدنيا وغدراها . ولكن لا ترد لهم حقاً . ولذلك فلا بد على الحكومة ، أولاً أن تضع لنفسها سياسة تغري الحكومات بتأييدنا والوقوف في صفنا .

والولايات المتحدة الآن ، على مفترق طرق ، وقد عبرت عما يساور ساستها بالرغبة الصريحة في تأييد اليونان وتركيا . وهي لا تفعل ذلك إلا لأنها ترى أن خطراً ما يهدد مستقبلها في الشرق الاوسط ، وهي لم تثبت بعد فيما اذا كانت تدفع هذا الخطر ، الذي تحس به ، بتأييد النفوذ البريطاني المتضائل ، أم بتأييد أصحاب هذه المنطقة الأصليين ، أي العرب ، فالفرصة متاحة للسياسة المصرية ، وان كانت تحتاج الى شجاعة والاقدام .

وهذه الشجاعة لا نكمل إلا إذا أدركنا أن الحديث الى معسكر واحد ، من المعسكرات التي تتطاحن الآن ، في رفق ومواربة ، هو أضغاث مضامين ، فنحن أمة تريد أن تعيش في سلام ، وأن تعوض ما فاتنا في سني النضال ضد الاحتلال والاستعمار ، وأمامها برنامج حافل من أعمال الأنشاء والتعمير ، في

ميادين الاقتصاد والاجتماع والثقافة ، ولا بد لنا من استعانة بخبرة الخبراء ،
وثروات الامم التي سبقتنا هذه الأيام في العلم والصناعة . فمن الخطل أن يظن
ظان أننا سنغلق أبوابنا في وجه جماعة دون جماعة ، الا اذا رأينا أن مصلحتنا
ومستقبلنا في إيثار هؤلاء على اولئك ..

وهذا كله لانفهمنا الولايات المتحدة جيذا ، لاننا نترامى على أعقاب
(الديمقراطية) في عبارات ابتذلها الاستعمال ، حتى انلف معناها . فالحدث عن
موقف مصر في أيام الغلمين ، وما بذلناه من أجل الدول المحاربة ، لم يؤثر في أحد ،
بل كان الود عليه ، أن طلبت بريطانيا منا التنازل عن ديوننا الاسترلينية ، وأن
اجترأت جرائد لندن ، على القول بأن الدولة المصرية نضجت في ظل الجيوش
البريطانية .. وانما تستطيع الولايات المتحدة أن تفهم جيداً ، لو رأتنا نوجه
دعايتنا الى العالم بأسره . وان نطلب التأييد والانصاف من فرنسا وروسيا على
السواء ومن بلجيكا والهند ، في وقت واحد ... هذا المنطق هو منطق فصيح
صريح ، وليس أبلغ منه في التأثير والاقتناع ...

* *

أن مصطفى كامل باشا ، مؤسس الحزب الوطنى ، لخص برنامجه في الدعاية
في حديثه مع الكولونيل بارنج حينما لقيه في ٢٨ يناير سنة ١٨٩٥ على الباخرة ،
وهما عائدان معا من فرنسا : فقد سأله الكولونيل ، مستخفا بشأن مصر ، « على
من يعتمد المصريون في اوروبا من السفراء والمندوبين . »
فأجابته مصطفى كامل :

« لنا أوروبا بأسرها التي تنادىها صواحبا العسيدة بأن تنهرنا لنهجرة تلك
الصواالح التي سعيتم من يوم احتلالكم في تقويض أركانها . »
ولا تزال هذه السطور هي النبراس الذى نستهديه .

فقهى رضوانه
الحامى

*

حفلة الحزب الوطنى للصحفيين الاجانب

أقامت اللجنة العليا للشباب الحزب الوطنى بعد ظهر أمس الأول حفلة شاي بفندق الكونتنتال للصحفيين الأجانب ، ورجال الصحافة الأفريقية المحلية ، وشهدا حضرات مصطفى الشوربجي بك وطراف على باشا ومنصور فهمى باشا والدكتور مصطفى القللى عميد كلية الحقوق والاستاذ موسى كيلي أستاذ القانون العام بالكلية والدكتور محمود عزمى كما شهدها بعض أعضاء لجنة الحزب الادارية .

وقد بدىء الاجتماع بكلمة ألقاها الدكتور زهير جرانة بالفرنسية وتحدث فيها عن أثر ميثاق هيئة الأمم المتحدة فى قضية وادى النيل ، فأبان أن هذا الميثاق يحظر على الدول المنضمة إلى الهيئة أن تعتدى على دول أخرى تتمتع بعضويتها .

ثم قال إن معاهدة سنة ١٩٣٦ لا تصلح سندا للاحتلال البريطانى لأن كل ما يتناقض مع الميثاق يعد ملغى . وتناول وحدة وادى النيل . فذكر أن الساسة البريطانيين قد اعترفوا بها فى تصريحاتهم المتكررة ، مستشهدين على ذلك بما ذكره المستر تشرشل فى كتابه « معركة النهر » .

واعقبه الدكتور نور الدين طراف فألقى كلمة بالانجليزية قال فيها : إن الحزب الوطنى يسره أن تخرج قضية وادى النيل من الحيز الضيق الذى فرض عليها إلى المحافل الدولية ، فهى قضية مضمونة الكسب ، لأنها ليست إلا قضية شعب مطالب حريته ويدافع عن حياته الى تهدتها حركة الفصل بين مصر والسودان . وقال إن بريطانيا عاشت منذ بدء الاحتلال ونصب عييقها أمرا : أحدها أن

* الازهرام فى ١٦ / ٣ / ١٩٤٨

تقصى عن النزاع القائم بينها وبين مصر أية دولة ثالثة ، والآخرون أن تنتزع معاهدة من المصريين ، تتضمن إقراراً بشرعية وجودها في البلاد .

وتلاه الأستاذ فتحي رضوان ، فقال :

إن عهد المعاهدات الثنائية قد انتهى أو أوشك ، ولقد اثبتت الحرب العالمية الثانية فشل المعاهدات . فبريطانيا حاربت إلى جانب روسيا عدوتها التقليدية ، كما أن ألمانيا حاربت الاتحاد السوفيتي قبل أن يجف مداد التحالف معه . والولايات المتحدة اعانت إنجلترا دون أن تكون ملزمة بهذه الاعانة ، بل اعانت دولاً كثيرة لم تتصل بها من قبل .

ثم مضى يقول : إذا أصرت بريطانيا على اعتبار منطقة قناة السويس حيوية لضمان سلامتها ، فإن روسيا تهدد إلى اعتبار المضائق في تركيا ضرورية لسلامتها ، وتواصل تدخلها في البلقان . ولهذا تعد المعاهدة المصرية البريطانية بذرة من بذور الحرب العالمية .

وأعقبه الأستاذ عبد الحميد لطفي الحامى ، فألقى كلمة سعادة حافظ رمضان باشا وقد استهمها بأن وجهة نظر الحزب الوطنى فى قضية وادى النيل لم تتغير منذ نصف قرن ، وأن المحاولات التى جرت منذ سنة ١٩١٨ إلى سنة ١٩٤٠ باءت كلها بالفشل ، وأخذت البلاد تؤمن اليوم بمبادئنا . فالجلاء ووحدة وادى النيل وحياد قناة السويس هى أسس الحزب الوطنى التى التفت حولها اليوم جميع المصريين .

ثم قال : إن إنجلترا منذ احتلالها مصر وهى تعلن أن هذا الاحتلال مؤقت ، وأن زمن الجلاء قريب ... وقد قطعت ٦٠ وعداً بهذا الجلاء ، ولكنها أرادت أن تدس فى معاهدة « سيفر » نصاً يقضى بنزول حكومة تركيا لانجلترا عن حقوقها فى مصر ، فلما شعر الحزب الوطنى بخطور مثل هذا النص فى معاهدة دولية أرسل وفدأ إلى أنقرة فى أثناء انعقاد مؤتمر لوزان ، وبعد مناقشته مع الغازى مصطفى كمال نجح فى إقناعه بأن حقوق مصر « ليست بالة قطن » تباع وتشترى فى الأسواق ، وعلى أثر ذلك أرسل الغازى إلى الوفد التركى بلوزان تعليمات برفض

هذا النص وبأن يكون النزول عن حقوق تركيا مجردا عن ذكر المتنازل له .
وعندئذ أصبحت مصر من الجهة الدولية مستقلة بسقوط سيادة تركيا ، فضاغت
بريطانيا جهودها لعقد اتفاق مع مصر مباشر . وتم هذا الاتفاق في سنة ١٩٣٦ .
وانتهى من ذلك إلى قوله : إن الحزب الوطني لم ينقطع عن محاربة هذه
المعاهدة التي تبرأ منها حتى موقعوها . وهي مخالفة لميثاق الأمم المتحدة . ولذلك
يمكن إلغاؤها والاتجاه إلى الجهات الدولية التي ردت لسوريا ولبنان استقلالهما .

كلمة الدكتور نور الدين طراف في احتفال الصحفيين الاجانب

أيها السادة :

نشكركم كل الشكر على تلبية دعوتنا المتواضعة والواقع أن مجرد حضوركم للاستماع إلى آرائنا حول قضية بلادنا ومحاولة تفهم وجهة نظرنا إنما هو خدمة منكم لهذه القضية العادلة وكل خدمة لقضية وادى النيل تقتضيها نحن المصريين أن نحمل آيات الشكر وعرفان الجليل لمن يؤدونها ...

وأنتم رجال الصحافة وسفرائها ... والصحافة هي القوة الموجهة والمعبرة عن الرأي العام محليا كان أو عالميا ، فإذا استطاعت الصحافة أن تتخلص من قيود الأغراض السياسية والمطامع الدولية لكي تقف تعرض القضايا عرضا عادلا خالصا لوجه الحق لأمكنها دائما أن تحيل من الرأي العام العالمي قوة هائلة تستطيع أن تقف في وجوه السياسة المقرضين الذين يعملون لخدمة الأغراض الخاصة على حساب الحقوق الواضحة ... ولكان ذلك أوطد دعامة تقوم عليها المبادئ الجديدة مبادئ الاخوة والحرية والمساواة بين الأمم جميعا ...

ونحن وقد قررنا أن ننتقل بقضيتنا — قضية النزاع بيننا وبين الانجليز — إلى الهيئات الدولية ليهتموا أن تستمعوا إلينا وأن لا يكون لديكم ذرة من الشك في عدالة مطالبنا ، حتى نكونوا عوننا لنا بل عوننا للحق في أوضح صوره وأعدل اتجاهاته .

للقضية المصرية التي تسمعون عنها كثيرا هذه الأيام ، هي قضية بسيطة متناهية في السهولة والبساطة ، فهي قضية شعب يريد التحرر من سيطرة شعب آخر ، وهذا هو لب الموضوع وكل ما أضيف إلى ذلك من تعقيد وحشو إنما قصد به تضليل الباحثين وصرفهم عن مقابته ودراسته .

فتنح أمة لا يحادل مجادل في تاريخها المجيد ولا فيما أسدته للعالم ولا فيما قدمته للمدنيات المتوالية منذ فجر التاريخ من خدمات ... أمة قد اكتملت لها كل مقومات الحياة وأسباب البقاء كل ما نطلبه أن نعيش أحرار في بلادنا ...

وقد يبدو هذا عجيبا لا يستسيغه المنطق ولا العقل ، فأنما تعلمون جميعا أن نيران الحرب الأخيرة قد اشتعلت واكتوى العالم بها سنين طويلة دفاعا عن الحرية وتأمينا للشعوب ضد الخوف الذي يبدئه الاستعمار ...

وتعلمون أن بريطانيا فانت كما بقول ساستها دفاعا عن تلكم الحرية ، فكيف بها تأبأها على شعب هو عضو في هيئة الأمم المتحدة ، وصدیق طالما أشاد بحاربو الديمقراطية بصداقته وبما أداه لهم من خدمات يسرت لهم سبل النصر ؟ ..

ولكن العجيب أن هذا هو الوضع أيها السادة . مهما حاول الانجليز بيراعتهم في الترخيع والجدل واللف والدوران ، أن ينقلوه أو يزغزغوه عن مكانه ... فبريطانيا تأتي أن تجلوعن بلادنا وأن نتحرر من سيطرتها السياسية إلا إذا ربطنا أعناقنا بتحالف معها دون دول العالم جميعا يقيدنا إلى عجلة امبراطوريتها .

فاذا ابينا ذلك وقلنا أن الصداقة لا تكسب بالمحالفات والمواثيق وإنما تكسب بالأعمال وإبراز النوايا الخيرة ، أشاح الانجليز عنا وجوههم وقلوا إذن نحن ودنا باقية في أرضكم وعلى قناة السويس لنظل حرابنا مسددة إلى صدوركم .

وقضيتنا أيها السادة تبدأ من سنة ١٨٨٢ حينما جاء اسطولهم للضخم إلى ميناء الاسكندرية لأن نزاعا وقع بين الخديوى وبين وزرائه ، وكأنما كان يظن الساسة الانجليز أن اسطولهم موكل بتسوية الخلافات الداخلية بين حكومات الأرض جميعا !

ففي مايو سنة ١٨٨٢ ازدحمت مياه الاسكندرية بقطع الأسطول البريطاني وفي ١١ يوليو من العام نفسه كانت مدافع الأسطول تدك مدينة الاسكندرية دكا منتظما في معركة من جانب واحد قاتل المصريون فيها مستبسلين ولكن بدون سلاح فكانت منبحة يندى لها جبين المدينة خجلا وعارا .
وانتهت المعركة بطبيعة الحال باحتلالهم المدينة فكان ذلك فاتحة لاحتلالهم البلاد كلها .

ولم يدع الانجليز أن لاحتلالهم هذا سببا مشروعا بل كل ما قالوه يومئذ انهم جاءوا ليعيدوا النظام والأمن إلى نصابها وأن بقاءهم في مصر مؤقت لا يلبث أن يزول . ولقد أحصينا عليهم نحو سبعين وعدا رسميا من رجالهم المسؤولين خلال الأعوام القليلة التي أعقبت إحتلالهم للبلاد يتمهدون فيها بالجلأ ومع ذلك فقد بقوا حتى الآن ضاربين بعودهم تلك عرض الحائط ...

وإن كان لعودهم هذه دلالة ، فهي أنها تبرز احساسهم بأن وجودهم في هذه البلاد لم يكن شرعيا حتى في نظرم ، في أي وقت من الأوقات ، ولم يكن سند في عرف أو قانون .

حتى إذا كان عام ١٩٠٤ وعقد الاتفاق الودي بين انجلترا وفرنسا وأمنت به انجلترا جانب فرنسا تنكر الانجليز لكل عهودهم ووعودهم واصبح بقاءهم مستندا للقوة الغاشمة التي لا تقبل جدلا ولا مناقشة . وبقي الامر كذلك وكان طبيعيا أن يناضل الشعب المصري ضد هؤلاء الغاصبين المستعمرين . وتزعّم الحزب الوطني حركة النضال الشعبي وبدأت المعركة في سبيل الحرية بين شعب حي يطلب الحرية ومستعمر غاصب يتسلح بالقوة والطغيان .

ولقد كان يعرفون دائما أبدا أن مركزهم في هذه البلاد لا يستند إلى حق أو قانون فعملوا جاهدين نحو تحقيق هدفين :

الأول : أن يحصروا النزاع بيننا وبينهم وأن يبعدوا أي طرف ثالث من التدخل فيه .

والثاني : أن ينزعوا من المصريين في صورة اتفاق أو معاهدة أو تحالف اعترافا يكسب وجودهم في مصر الصورة الشرعية ويجعل من الاحتلال وضعها مرضيا عنه من المصريين .

في سبيل تحقيق هذين الهدفين عمل الانجليز دائمين وندروا بكل وسيلة وطبقوا كل تجاربهم السابقة في الاستعمار وانهك البلاد المستعمرة . وأخذوا يطبقون وسيلتهم التي ابتكروها وهي وسيلة المفاوضات فدخلوا مع الحكومات المصرية في سلسلة طويلة من المفاوضات كان القصد منها أن يفرضوا على البلاد اتفاقا يحقق لهم هدفهم السابقين فانتهدت جميعها بالفشل حتى اذا كان عام ١٩٣٦ وتمحرجت الظروف الدولية وبدأت نذر الحرب تبتدئ في الأفق توصل الانجليز بالضغط والتهديد المستتر أن ينزعوا من الحكومة المصرية معاهدة ١٩٣٦ التي ثرنا عليها نحن أبناء الحزب الوطني منذ توقيعها والتي ستسمعون عنها من غيري من الزملاء .

* *

فأنتم ترون أن الانجليز يثورون بنا اليوم إذ ننتقل بقضيتنا من المباحثات الفئوية بيننا وبينهم الى الوضع الدولي وما كان احرام أن يرحبوا بذلك لو أنهم يعلمون أن بعض الحق يقف في جانبهم واسكنهم يفضبون ويثورون لأننا بعرض قضيتنا على الهيئات الدولية إنما نهدم من أغراضهم الرئيسية أن تبقى المسألة بيننا وبينهم الى ما شاء الله .

ولأن حقنا في اجلائهم عن بلادنا واضح بل لعل حجبتنا مستمدة من منطقتهم هم في مجابهة الدول الأخرى كروسيا التي يتهمونها بأنها تبقى قواتها في بلاد صديقة لأغراض استعمارية .

وهم يفضبون لأننا ننادي بإعلان معاهدة ١٩٣٦ لأن في بطلانها هدم لحجبتهم التي يستندون عليها في ابقاء قواتهم بأراض مصرية .

واننا لنسائلهم ان كان وجود قواتهم قد استمد شرعيته من تلك المعاهدة فبأي حجة ولأي سبب تعقبت قواتهم بوادي النيل من سنة ١٨٨٢ حتى سنة ١٩٣٦ ؟

أيها السادة :

إننا ذاهبون إلى الهيئات الدولية لا لكي نحتكم فأننا لن نقبل إلا حكماً واحداً هو الذي يقضى باخراج الانجليز من هذه البلاد دون قيد أو شرط .

وإنما نحن ذاهبون لنعرض على العالم المتمدن صفحات قديمة من أسوأ صحف الاستعمار البريطاني في العالم ، و صفحات جديدة من أسوأ صفحات النفاق والرياء والخداع ، ثم لنطلب أن تقف الأمم المتحدة في صفنا حتى ننال حقوقنا وحرقتنا فإن تم ذلك كان بها وأثبتت الهيئات الدولية أنها جديرة بأن تهنيء لهذا العالم المتعب المضطرب عهداً جديداً قوامه السلام والأخاء ، أما إذا لم يلق نداؤنا مجيباً ، فأننا سنعود أكثر إيماناً بقضيتنا العادلة ، وبقلوب أشد إصراراً على انتزاع حقنا . وسيكتب بالدم المسفوك من جديد وثيقة حرقتنا واستقلالنا .

كلمة الاستاذ فتى رضوان المحامى

في هيئة الصحفيين العرب

كانت المسألة المصرية في مدى خمسة وعشرين عاما مسألة بريطانية بحتة يتداول فيها سراً مع السياسة المصريين بعيداً عن الكتاب والصحفيين والنقاد بعيداً أيضاً عن السواد الأعظم من الشعب المصرى .

وقد كان ذلك نكسة في القضية المصرية ، فان الحزب الوطنى منذ نشوائه وهو يرى أن المسألة المصرية مسألة انسانية دوائية ، وثيقة الصلة بالسلام العالمى ، فلهما لا يقيس ، ويسهل ، إلا اذا فتحت لها النوافذ ، وأدرك الناس فى كل صقع فى الدنيا ما يدور حولها ، أو ما يتصل بها .

وكانت بريطانيا تسعى جاهدة فى أن تفصل عن مصر ، كل صديق يهيمه أمرها ، أو كل ذى مصلحة يرى فى استقلال مصر ، حماية لهذه المصلحة . ولقد أبرمت بريطانيا مع فرنسا اتفاقية سنة ١٩٠٤ مؤهلة ان تحمد الروح الوطنية التى كانت تجدد فى التشجيع والتأييد والأدبى من بعض كتاب وساسة ونواب فرنسا ما يهيمه الأمل أو يحده . وعملت فى الوقت نفسه على أرهاق تركيا وإضعاف الصلات الروحية بينها وبين مصر حتى تحس مصر بالوحشة والعزلة ، فتسلم أمرها لسياسة بريطانيا يفعلون بها ما يشاءون ويفرضون عليها من المعاهدات والشروط ما يختارون .

ولكن مع ذلك ذهبت جهود بريطانيا سدى فى انتزاع معاهدة من مصر تقر وضع الاحتلال البريطانى أو تضفى عليه الشرعية .

وقامت الحرب العالمية الأولى ، فوقفت تركيا وألمانيا في جانب ، وانجلترا وفرنسا في جانب . وكتب الفوز لبريطانيا ، فاستطاع أصدقاء بريطانيا من المصريين أن يظهروا على المسرح ، وقد تعلقت بهم الآمال ، بحكم القوانين الاجتماعية التي توجه شعور الجماهير الى حيث الفائز المنتصر . اعتبر أن الحزب الوطني الذي ينادى بسياسة مخاضمة بريطانيا ، غير جدير بإدارة السياسة في عهد انتصرت فيه بريطانيا . فأسلمت البلاد قيادها لاصدقاء بريطانيا ، وقد طرق هؤلاء باب العميد البريطاني في ١٣ نوفمبر وكانت تحيتهم له أنهم لا يثبتون أحداً شكواهم الا ممثل بريطانيا في الداخل ، أما الخارج فهم لا يالجئون بالشكوى الا لبريطانيا .

لجأ هؤلاء الساسة المصريون في نهاية الحرب العالمية الاولى الى فرساي مؤملين أن يجلبوا العون في سياسة أوروبا الذين غمروا العالم مدة الحرب بتصرحاتهم عن حقوق الدول في تقرير مصيرها .. ولكن خابت آمالهم فان صانعي السلام ، أو مشيدي العالم الجديد رفضوا أن يكلفوا أنفسهم عناء حتى فض مظاريف كتب الدعاية المتلاحقة التي كان الوفد المصري بوجهها اليهم . فانتجمت الانظار عبر المحيط ... الى أمريكا . ولكن النتيجة كانت للأسف واحدة ... فعاد هؤلاء الساسة يملؤهم اليأس ، ونعمهم روح الاستسلام والمفاوضة ...

فا وضت مصر بريطانيا مرات ، وفي كل مرة كانت المفاوضة لا تنحسر إلا عن صدمة جديدة لآمال الشعب حتى كانت معاهدة سنة ١٩٣٦ .

ثم اندلعت الحرب العالمية الثانية . ورأى الشباب المصري على ضوء نيرانها المشبوبة حقائق جديدة .

ومن أهم ما رآه أن المعاهدات الثنائية ليست لازماً . أو بعبارة أخرى أن عهداً قد انتهى أو أوشك ، فبريطانيا حاربت الى جانب روسيا ، مع أهمها فشلتا في أن تبرما بينهما معاهدة في سنة ١٩٣٩ وقد حاربت ألمانيا الاتحاد السوفيتي حرباً مرة ، ولم يكن مداد المعاهدة التي أبرموها في سنة ١٩٣٩ نفسها قد جف

بعد . وقد أعانت أمريكا انجلترا دون أن تكون ملزمة بهذه الاعانة ، بمقتضى معاهدة أو محالفة ، بل انها اعانت دولا ، لم تتصل بها من قبل .

وجاء ميثاق هيئة الأمم المتحدة ليعلن تحريم المعاهدات الثنائية ، حتى يحل محلها معاهدة انسانية ، بين الأمم جميعا . وبعض الناس يعتقد ان هذا التطور سيؤدي في آخر الأمر الى ما يسمونه بحكومة العالم الواحد . التي يعتبرون أنها وحدها السبيل الى السلام المنشور الدائم بين الأمم . لأن هؤلاء يقولون ان الحكومات هي التي تبعث الحروب ، وتوقد نيرانها . ففي القديم كانت الحروب تقوم بين القبائل فلما دانت القبائل لامراء الاقطاع ، قامت الحروب بين الاقطاعيات ، فلما دانت هذه الى أمراء كبار يتقاسمون الحكم في الدولة ، دارت المعارك بينهم فلما دانوا جميعا لحكم حكومة واحدة هي حكومة الدولة ساد السلام في رقعة الدولة ، ونشبت الحرب بينها وبين غيرها من الدول .

ومن هنا نحن نعتقد ان التعاقد بين مصر وبريطانيا سيفهم في الحال على انه محاولة لانشاء جبهة ضد روسيا أو غيرها من خصوم بريطانيا فيعكر هذا الجو الدولي ويشير المخاوف . فللعالم مصلحة في الاعتقاد بين مصر وبريطانيا معاهدة سياسية ولا محالفة عسكرية . واذا نتجت بريطانيا على الرغم من ذلك في إرغام جماعة من المصريين على توقيع معاهدة فان هذا نذير بان الحرب الثالثة على الابواب . وان ترفع روسيا يدها عن البلقان ولا أن تكيف عن طلباتها الخاصة بالمضائق الا اذا أحست بان بريطانيا لا تجمع ضدها الدول العربية وبلدان الشرق الاوسط الخاضعة لنفوذها .

نداء للعالم

على أننا وقد بينا أن دفاعنا عن حرية وادي النيل هو دفاع عن أمان وسلام الشعوب نطمح في أن نجد غوثا من الشعوب المنحجرة ، وأن نجد من أمريكا على وجه خاص فهما وأدركا لخطر المعاهدة المصرية البريطانية ، ويجب أن

نطمئن كل مشتغل بالسياسة العالمية على أنهم إذا كانوا قد رأوا إلى الآن في مصر
مدرسة واحدة من السياسة لا تفكر إلا بالعقل البريطاني ولا تتذوق سوى ما يسمى
بالعدالة البريطانية فإنه قد نبئت جماعات في مصر لا تعرف سوى مصلحة وادى
النيل المتفقة مع السلام العالمى وأن هذه الجماعات تمتد يدها إلى كل من يريد أن يقف
في صف القضية المصرية السودانية . ولعلنا نرى بعد ذلك تعديلا في موقف
الدول التي كانت تنظر إلى تطورات القضية المصرية نظرة سلبية فإن في هذا
التعديل مصلحة لهذه الدول ومصلحة للبشرية جمعاء .

ذكرى احتلال الانجليز للقاهرة

١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢

نشرت جريدة الأهرام في عددها الصادر يوم ١٥ سبتمبر سنة ١٩٤٧ ما يلي :
« دعت اللجنة العليا للحزب الوطنى إلى اجتماع عقد بعد ظهر أمس فى قاعة
الشبان المسلمين بمناسبة ذكرى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ وقد أفتتح الاجتماع بتلاوة
القرآن الكريم ، ثم وقف الدكتور نور الدين طراف وألقى خطبة قال فيها : إن
أبناء الحزب الوطنى إذا كانوا يقفون اليوم ليتحدثوا بمناسبة ذكرى مشنومة من
ذكريات تاريخنا الحديث ، فلأن الحزب الوطنى قد درج منذ بدء الاحتلال على
أن يذكر المصريين فى كل فرصة بما سبى الاحتلال وجرائمه وكوارثه ، ودأب
على يبرز أن أمام الشعب حقائق هذه الأيام السوداء التى سفك الممثلون فيها دماءنا
ودمروا حضارتنا وأودوا باستقلالنا . ثم قال : إن الشعب يجب أن يعرف أن
الانجليز هم خصومنا الألداء الذين يجب أن لا تأخذنا فى محاربتهم لين أو هوادة
وأن أية محاولة للتقريب بينهم وبيننا ما داموا فى بلادنا إنما هو لإجرام فى
حق الوطن .

وتلاه الأستاذ محمود الحناوى المحامى فتحدث عن هذا اليوم من الناحية
التاريخية وذكر الظروف التى لا بدت هذا الاحتلال . وكيف أن الانجليز دخلوا
مصر مخاتلة وانتهكوا حياد قتال السويس وعذبوا بميثاق « ترابيا » الذى وقعوه
قبل ضرب الاسكندرية بأيام . واستخلص من التاريخ ثلاث حقائق :
الأولى أن الانجليز ما دخلوا مصر لحماية الخديو ، والثانية أن المصريين الذين

وتقوا بالانجليز قد أساءوا الى بلادهم إساءة بالغة . والثالثة أن بريطانيا لا تراعى عهداً دولياً ولا تقيّد بحلف .

ثم وقف الأستاذ فتحى رضوان المحامى رئيس اللجنة ودعا الى مقاومة الاحتلال مقاومة منظمة . إذ أن البلاد قد سئمت من الخطب والهتافات وطلب أن ينظم الشباب فى جماعات حتى إذا حان الوقت لنضرب مصر ضربتها فتتقضى على الاحتلال نهائياً وتظفر باستقلال وادى النيل كاملاً وجدت شباباً مدرباً قادراً . ثم طلب من الحكومة أن لا تقبض يدها عن تلقى المعونة من كل دولة ترغب فى عون مصر . فروسيا وإن كنا نعرف أن مؤازرتها لنا إنما هى لصالحها قبل أن تكون لنا فإن المصلحة الوطنية تقتضى أن نتقبل منها هذه المؤازرة ونمد إليها يداً لتعطينا سلاحاً نقوى به جيشنا ونزهب به أعداءنا . وأخيراً طلب من الحاضرين أن يكتبوا عرائض إلى السدة الملكية بالتماس العفو عن الشبان الذين حكم عليهم القضاء المصرى أخيراً لأنهم أخافوا الانجليز فى الاسكندرية ببعض القنابل اليدوية . ونكتفى هنا بنشر كلمة الأستاذ محمود الحناوى المحامى والسكرتير المساعد للجنة العليا .

كلمة الأستاذ محمود الحناوى المحامى فى اجتماع الحزب الوطنى

فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٤٧

دخل الانجليز مياه الاسكندرية محتالين ، وضربوها محتالين ، ومن المضطهكات المبكيات أنهم قبل ضرب الاسكندرية بأيام دعوا الى مؤتمر فى ترابيا من ضواحي الاستانة فى ٢٣ يونيو سنة ١٨٨٢ ، كتبوا فيه ميثاقاً بينهم وبين الدول الخمس العظمى ، فرنسا والمانيا والنمسا وروسيا وايطاليا ، وأسماه ميثاق الزاهة ، تعهدت فيه الحكومات ومنها انجلترا « بأنهما فى كل اتفاق يحصل بشأن تسوية المسألة المصرية لا تبحث عن احتلال أى جزء من أراضى مصر ولا الحصول على امتياز

خاص بها ولا على نيل امتياز تجارى لرعاياها لا يغول لرعايا الحكومات الاخرى». كانت إنجلترا توقع هذا الميثاق فى ترابيا ، وكان جيشها بعد وسائل القتال ، وأمير بحرها سيمور يبحث فى جعبة الخاوى عن ذريعة يضرب بها الاسكندرية ، وطريقة يصور بها أن الأمن فى مصر مختل مضطرب حتى يكون احتلالها مقرونا بعطف الأوربيين .

واستطاعت فى دهاء أن تخدر العربيين ، ونوهمهم أن أسطولها جاء الى الاسكندرية لينصرحتهم ويوطد مركزهم لدى الخديو ، واستطاعت أن تجتذب الخديو نفسه ، فسافر الى الاسكندرية قبل ضربها بيومين ، وهناك فى سراى رأس التين استقبله الاميرال سيمور .

« لقد جئنا نعزيز مركز الخديو وننقذه من الثوار » . يالها من عبارة فاجرة . من ذا الذى دعاكم أيها الطفيليون ؟

وأخيرا عرف العربيون أن الانجليز لم يجيئوا الى الاسكندرية لنصرتهم ، أما الخديو فلم يظن الى حقيقة هذا المجرىء وانخدع بظاهريهم ، وما حسب أنهم قراصنة سارقون ، فأخذ يصدر البيانات والمفشورات للناس ليأمنوا جانب الانجليز ، وأخذ عرابى يستعد فى كفر الدوار ، وأخذ المد يدترى على الاسكندرية .

كان الجيش المصرى ١٣ ألفا وانضم اليه الأعراب ، ولم نكذب البلاد تعلم نبيأ الاعتداء على الاسكندرية ، حتى هبت تجود بأموالها وأبنائها ، ولكن الضربة كانت مفاجئة ، والخديو الحاكم الشرعى للبلاد كان فى صف الانجليز ، الى أى الفريقين ينتمى الناس ؟ هذه هى الحيرة التى أراد الانجليز أن يدخلوا فى دخانها مصر ، أرادوا أن يكتسبوا السلطة الشرعية الى جوارهم لينقسم الجيش على نفسه بين مجاهد فى سبيل بلاده ومحافظ على عهد الولاء لصاحب السلطة ، ولينقسم الاهلون أنفسهم ولتخلق فى صفوفهم جواسيس وخونة ، ولتتخذ من فضيلة الولاء سلاحا قتالا تضرب به فى الأوصال . وكان لها ما أرادت .

كانت الخزانة غاوية على عروشها ، والحدوي في الاسكندرية يصدر البيانات
ويستخدم الأعوان ، والجيش عدده قليل ، وقواده بين مشفق على بلاده وبين
منطو على الولاء لخدويبه ، والشعب مضلل لا يدري ما المصير ، كانت فترة
اضطراب وتبلبل في الأفكار ، حتى اذا استقفاقت البلاد من هذه الحيرة ، وعزمت
أمرها على المقاومة ، وانفقت كلمة أمراء البيت العلوي مع كلمة الشعب للنضال في
سبيل الوطن ، هب الجميع للجهاد .

ولكن هذا الاستيقاظ كان متاخرا فقد أعد الانجليز خمسين الفا لمهاجمة مصر ،
وحسب عرابي أن الغزو لا بد أن يكون من الغرب لأن انجلترا لا تستطيع أن
تنتهك حرمة الحياد الدولي لقناة السويس .

أسطورة مضحكة « انجلترا لا تنتهك الحرمات الدولية » .

هذه هي العبارة الفاجرة الثمانية التي خدع بها دلسيس احمد عرابي فلم يردم القناة
ولم يفرق شرق الدلتا . وكندس قواه في كفر الدوار . حتى اذا رأى الحياد
الدولي تلوكه بريطانيا بين انيائها في فم قذر متقيح أمام العالم جميعا ، ورأى
المدركات البريطانية تدخل القناة مرع الى بلبيس والتل الكبير بعد فوات الأوان .
وفي ١٣ سبتمبر سنة ١٨٨٢ هزم الجيش المصري في التل الكبير اثر معركة
كالمهزلة ، جيش ضعيف وقيادة جاهلة وخيانة تنوش الصفوف .

* * *

هذه هي صفحة العار التي يجب على كل مصري ان يتذكرها لا ليخجل منها
ولكن ليمحوها .

إن الجيش المصري الذي هزم الحثيين واخاف كورش مؤسس الفرس وحمى
العالم من عادية التتار وصفع الصليبيين ، وفتح مغاليق افريقيا ، وطرق أبواب
القسطنطينية ، وسجل آيات البطولة في حرب المورة ، وفتح عكا ، ورفع
أعلامه عالية في حص وبيلان وقونية ونصيبين والقرم ، هذا الجيش لوئث اعلامه

الخيانة والقدر وضعف القيادة في التل الكبير ، وعادت فلوله تجر اذيال الخيبة والفشل ورجع قائدة وقد جمل وجهه سواد ذلك اليوم الرهيب .

يوم لا ننساه حتى ننحوه من صفحة الزمن .

لم تنكسر تفتى معركة التل الكبير حتى أمر الجنرال واسلى فرقة الفرسان بقيادة درورى لو Drury Lowe أن تبادر بالزحف على القاهرة لاحتلالها .

وفي الساعة الرابعة بعد ظهر الخميس ١٤ سبتمبر دخلت ثلة من الفرسان الانجليز لا تبلغ الألفين ثكنات العباسية ، وأمر عرابى أن يسلم الجنود المصرىون أسلحتهم الى حفنة من الفرسان الانجليز ، ثم لبس عرابى رداءه العسكرى وأخذ سيفه وذهب هو وطلبة باشا ليسلما نفسيهما الى القائد الانجليزى . وسارت حفنة من الفرسان البريطانيين ليلا الى القلعة وتسلمتها من الأمير لاي الخائن على يوسف «حنفس» الذى فتح الطريق للانجليز فى التل الكبير وسلمهم مفاتيح القلعة فى القاهرة ، ثم احتل الانجليز قصر النيل وقشلاق عابدين وسلم الجنود المصرىون أسلحتهم . وخرج بعض الاهالى من سكان باب الشعرية والحسينية يحملون العصي والحجارة ليحاربوا الانجليز ولكن محافظ العاصمة ابراهيم فوزى نصحتهم وردمهم الى منازلهم .

هذه قصة ١٤ سبتمبر ، مدينة كبيرة يبلغ تعدادها نصف مليون يدخلها الفان من الجنود بغير مقاومة ، ولو بصق أهل القاهرة فى غضب فى وجوههم لأحرقهم هذا البصاق .

ولكن بيانات الخديو وتصديقه لوعود الانجليز ، وسموم الخونة التى نفثت فى الصفوف ، والقيادة العاجزة الجاهلة ، كل ذلك مهد السبيل أمام الانجليز فدخلوا القاهرة ولم يصب واحد منهم بخزة إبرة ولم يذم لهم لصيح ولم تفتأ عين . ووصموا الشرف المصرى بذل لم يمح بعد ، ودخلوا بلادنا مدعين الصداقة لبعض المواطنين ، ولم يبق أولئك الذين عاونوا الانجليز وساعدوهم إلا بعد أن أحسوا

بأحاييل الأخطبوط البريطاني وقد لفت على أعناقهم وعصرت بلادهم عصر أو ضربت نطاقا بينهما وبين التقدم وحاصرتها بالفقر والجهل والمرض .

هذا هو التاريخ وفيه ثلاث حقائق :

الحقيقة الأولى : أن الانجليز ما دخلوا مصر لحماية الخديو ولا لاستتباب الأمن وأنهم ما كانوا يستطيعوا دخولها لو أعلنوا حربا أو أظهروا عدا ، فقد كانت البلاد قادرة أن تصلبهم نارا وتأخذهم بالعذاب الذي أخذت به الحملة الفرنسية من قبل ، وكانت قادرة أن تريهم من ألوان البطولة والتضحية ما اشتهرت به في تاريخها الطويل ، وما رأوا بأعينهم نماذج له في يوم التيل الكبير الخالك على يد البكباشي محمد عبيد ذلك البطل المصري الخالد الذي أبى أن يراجع وظل يقاتل في نفر من جنده حتى استشهد معهم ، وصعدت روحه الى السماء لتضىء جانبا من جوانب ذلك اليوم المظلم .

والحقيقة الثانية : أن المهريين الذين وثقوا بالانجليز قد أساءوا إلى مصر لإساءة بالغة ، وقد عرف الانجليز أن أمثال هؤلاء الغرورين في صداقتهم هم على مر السنين ، أداة بقائهم في مصر ، فأخذوا يجمعون حول قصر الدوبارة الأصدقاء من طالبي الجاه ، وصائدي المال ، ونفقوهم في البلاد واستعانوا بهم على قتل الروح الوطنية ومقاومة الوطنيين ، وذهبوا يغنون أسطورة الصداقة بين مصر وبريطانيا ويرنون أغاني المحالفة والمهادنة والمعاهدة .

والحقيقة الثالثة : أن بريطانيا لا ترعى عهدا دوليا ولا تتقيد بحلف ولا تعرف حيادا ، تتمسك بكل هذا لتجني فائدة وتفسى كل هذا لتفتك حرمة .

هذه هي الحقائق التاريخية نعرفها ويعرفها الزعماء ، ومع ذلك كان منهم لبريطانيا أصدقاء ومعاونون وكتبوا معها معاهدة وتنافسوا في أرضائها ومهدوا لها سبيل النصر في حربها ولم يتعظوا بالتاريخ وسنوا في أيام محنتها القوانين لحماية

جنودها ومكنوا لهم من أنفسهم وأعراضنا وأموالنا ، وملأوا الجو بالخطب
والقصائد في مدحهم والثناء عليهم ومدوا لهم حلقات الرقص ، وأخذوا لقمة
العيش من أفواهنا والكساء من أجسادنا ومتعوا بها هذه السائمات الحمراء ،
ونسوا ضرب الاسكندرية ، ونسوا التل الكبير ، ونسوا دنشواي ، ونسوا
الدماء الطاهرة الذكية التي تدفقت في سنة ١٩١٩ من حناجر كانت تهتف
لمصر وللحرية .

إن مصر لن تنسى أيام البأساء حق تمحوها بالعمل المنظم المنتج ، وهذا الشعب
الأبى قد جرب الدهاء البريطاني وعرف ما تساوى لديه الموائيق والمعاهدات ،
وخبر عبثه بدول الغرب في طرابيا وفرساي وجنيف وسان فرانسيسكو
وليك ساكسس ، وفهم أن الاستقلال لا يمنح ولكن يؤخذ ، والاص لا يعاهد
ولكن يطرد ، الحق في الميزان الدولي لا يساوى شيئا اذا لم تؤيده القوة .

« ومن حرص على الموت في سبيل حريته وهبت له الحياة . »

وثيقة خطيرة يجب أن تقدمها مصر لمجلس الامن*

الانجليز اعدوا الانذار البريطانى

امحاجاها على قتل السردار ...

قبل قتل السردار !

فى الساعة الثانية من بعد ظهر يوم الاربعاء ١٩ نوفمبر سنة ١٩٢٤ انطلقت رصاصات خمسة من الشبان على قارعة شارع الطرقة الغربى عند التقائه بشارع قصر العيني ، وقد استهدفت شخص السيرلى ستاك سردار الجيش المصرى وحاكم السودان العام ، فألقته جريحا ، ونقل إلى إحدى حجرات دار المندوب السامى ..

وفى ٢٢ نوفمبر شيعت جنازته ، وفى الساعة الخامسة قصد اللورد اللنبى ، إلى رئاسة مجلس الوزراء ليقدم الى رئيس الوزارة إنذارا ، وقد كان أهم ما فى الانذار من الناحية السياسية البند الخاص الذى قضى (بسحب الجيش المصرى من السودان وتحويل الوحدات السودانية التابعة للجيش المصرى إلى قوة سودانية تكون خاضعة وموالية للحكومة السودانية وحدها).

وقد تحدى الانذار كل تقليد سابق جرت عليه الدبلوماسية حتى فى حالة الغضب وانتواء الحرب وظن نظارة المسرح السياسى أن اللورد اللنبى لم يستطع أن يكبح جماح غضبه فاندفع مع حماقة الانتقام يسود ورقة من أوراق المندوب السياسى مدركا أنه لن يعترض سبيله معترض .

ثم ارتفع الستار عن المسرح قليلا قليلا وتتابعت الحوادث ، واستطاع البعض أن يتسرب الى ما وراء المسرح نفسه ، فإذا بحقائق هائلة ومذهلة ، تنكشف وتبين ، فبدأ البعض يتساءل أ يكون (السيرلى ستاك) ، وهو غوردون آخر ،

* آخر ساعة ٦ أغسطس سنة ١٩٤٧

رأت بريطانيا أن تقدمه على منبج أطباعها الاستعمارية لتكسب به السودان نهائيا ،
بعد أن قدمت رأس غوردون — لتكسب به اتفاقية سنة ١٨٩٩ .

إن مقتل السردار ، وقع بعد فترة من انقطاع حوادث الاغتيال ولم تكبد
الحادثة تقع حتى فر عنایت الى طرابلس حيث قبض عليه ، ولم يكبد يقبض عليه
حتى اعترف اعترافا كاملا ..

وليس هذا هو كل شيء فقد ذاع في الأروقة السياسية أن وزارة الخارجية
البريطانية تقول أن اللبني تصرف بحرية في كتابة البلاغ فلم يستأذنها ولم يراجعها
في نصوصه وغباراته ، وأن مجلس الوزراء البريطانى ناقشه بعد أن كان قد أبلغ
فعلا إلى مصر .

ومع أن هذا الذى تذيبه وزارة الخارجية البريطانية يعتبر من الحقائق المعترف
بها في كل كتاب بريطانى يؤرخ هذه الحقبة ، فإن اللورد اللبني لم يتلق من وزارته
لوما ولا تقريرا ، ولم يسحب ولم يستقل كما حدث بعد ذلك بسنة ، بل ان اللورد اللبني
لم يتردد في ان يقول للكاتب الفرنسى لويس برنو « ان الانذار الذى بلغته للحكومة
المصرية ، وكان نسخة من إنذار مهد منذ زمن بعيد ومودع بمكتبي قبل مقتل
السردار وقد اقتصر عملي على تعديل في عباراته ، وجعل هذه العبارة أشد ما كانت .
مهد قبل مقتل السردار ا ومودع في مكتب اللورد اللبني ا

كيف يفهم هذا ، إلا إذا صدقنا أن بريطانيا هى التى قتلت السردار لتطالب
بالسودان تعويضا عنه ، أو أن السياسة التى أتهمتها فى الانذار كانت قرارا متفقا
عليه ، ولم يكن يبقى على تنفيذه سوى وقوع المناسبة (أيا كانت) لاتخاذها ذريعة
لبدء سياسة عنيفة كهذه السياسة ولدوس اتفاقية سنة ١٨٩٩ التى فرضتها بريطانيا
علينا وذهب ضحيتها اثنا من المصريين هما بطرس غالى و ابراهيم الوردانى ا على
أننا لن نستسلم للبحيرة طويلا فان اللورد لويد ، مندوب بريطانيا السامى في مصر
قد كشف عن الجانب الاكبر من حقائق هذا الموضوع الطريف من موضوعات
السياسة البريطانية . فقد قال في صفحة ١٣٣ من كتابه « مصر منذ عهد كرومر » :

« الحق أن التفكير في إنشاء قوة سودانية من السودانيين وحدهم لم يكن ثمرة مقتل السير لي ستاك ، إذ كان واضحا للموظفين البريطانيين في السودان منذ سنوات أن الموظفين المصريين في حكومة السودان سواء أكانوا مدنيين أم عسكريين ، أداة فعالة منتجة في متناول المصريين الراغبين في استغلال السودان سياسيا . أما ما عدا هؤلاء الموظفين ، من بعوث قد توفدها مصر إلى السودان ، فقد كان من الميسور تعطيل نشاطها أو مقابلة هذا النشاط بميله . ولكن ما دامت هذه الإدارة الرسمية الفعالة في أيدي المصريين فإن الخوف من تمرد الجيش السوداني وانتقال عدوى التمرد منه إلى بقية مصالح الحكومة ، سيتجدد وسيكون « عظيما » ليس من الممكن أن نحيط بكل الخطر الناجم من تبعية جيش في أمة متأخرة كالسودان لدولتين . ولكنه كان خطرا حقيقيا متزايدا بفضل وجود مائتين من الضباط الأجانب (. يعني الإنجليز والمصريين) وبفضل ما كان يتمتع به الضباط المصريون بحكم وظائفهم من سلطان كانوا يستغلونه في التأثير في عقول جنودهم مما يروونه من قصص عن المستقبل .

ولذلك لما استفيحت الدعاية المصرية المخربة في الشهور الأولى من سنة ١٩٢٤ لم يكن ثمة سبيل مفتوح أمام السلطات البريطانية إلا أن تتخذ ما يلزم لصيانة مهنية الجيش وحفظ النظام فيه ، ولذلك قد انعقد بالفعل مؤتمر (شخصي) في أغسطس سنة ١٩٢٤ بلندن ضم المندوب السامي والحاكم العام للسودان ورئيس الوزراء وتدبروا فيما يجب عمله لمواجهة هذا الخطر (خطر الدعاية المصرية) . وقد كان رأى مستر رامزي ماكدونالد كبير الوزراء أنه يجب طرد المصريين من السودان إذا لم يعدلوا عن سياستهم (أو إذا لم يعرفوا كيف يلعبون اللعبة) . وفي ذلك الوقت كان مشروع القوة السودانية قد بدأ يتخلق وبأخذ شكله المبدئي . وقد تقرر في الوقت نفسه تدعيم الاقتصاد السوداني وزيادة المساحات المنزرعة قطنا والتي تروى ريانيليا لمواجهة النفقات الناجمة من تكاليف إنشاء قوة السودان الجديدة . »

وبهذا الكلام الصريح وضع اللورد لويد النقطة فوق الحروف وكشف الستار عن أمور لو واجهت بها مصر بريطانيا أمام مجلس الأمن ، ولو تدبرتها الدول جميعا لزال عنا شعور الخوف من موقف قضية مصر والسودان والعلاقة بينهما أمام المحافل الدولية .

فبريطانيا مقرة بأن مجرد وجود المصريين في السودان خطر ، وأن هذا الخطر دفع براهنى ماكدونالد الزعيم العالى ، والوزير الاشتراكي إلى التفكير في طرد المصريين جميعا من السودان ، إن لم يعرفوا كيف يتأدبون بأدب بريطانيا ، فيتحولوا إلى موظفين بريطانيين .

على أن اللورد لويد استرسل في حديثه فقال : « ان قرارات المؤتمر (الشيخي) لم يكن ممكنا تنفيذها حتى تحين المناسبة ، وقد حدثت المناسبة بمقتل السردار ، فصدرت الأوامر بسحب الجيش المصرى » ، ووصف اللورد بقلمه الحوادث الدامية التي وقعت في السودان عقب صدور هذه الأوامر ، وأبان للعالم كيف أن السودانيين قد استشهدوا وبذلوا دمهم احتجاجا على هذا الانسحاب ، وكيف أن هداستون وكان حاكما للسودان بالنيابة حاول أن يقنع باقى الأورط السودانية بالعودة إلى النظام والعدول عن التمرد ، فذهب مسعاه عبثا ، فأطلق نيرانه وحصد الأرواح حصداً .

وليكن اللورد لويد يقول في حسرة بالغة ، وحنق عميق : « كان من العسير أن تقنع الشعب السودانى أن القوات الممنسحجة هى القوات المصرية وليست البريطانية ، فانهم لم يصدقوا أن نخرج مصر من السودان . »

وخلص اللورد لويد إلى السياسة التي آمنت بها بريطانيا وعقدت العزم على تنفيذها فقال :

« لقد انتهت السلطات البريطانية في السودان إلى الاقتناع بأنه لا سبيل إلى وضع أساس متين للأمن العام في السودان بغير المبادرة إلى إلغاء الحكم الثنائى ، وإعلان ذلك رسميا ووضع السودان تحت الوصاية ، وقد كانت تحت يد تلك

السلطات مستعدات لا تجادل دلائلها ، مثبتة أن الثورة والعجز قد دبرتهما أبداً
مصرية بزعماء ضباط مصري من ضباط المدفعية وأن التعريض على الثورة استمر
حتى بعد صدور أوامر الوحدات المصرية بالجلأ .

وبندب اللورد لوبد حظ بريطانيا لأن نصيحة الموظفين الانجليز في السودان
لم تقبل في ذلك الحين ، ورجع تردد أولى الأمر في بريطانيا في النزول على هذه
النصيحة والعمل بها إلى خوف السير أوستن تشمبرلن من وقع هذه السياسة في
الوسط الدولي وإلى أن اللورد اللوبي كان يخشى ما ينجم عن هذه السياسة في مصر
من هياج سيؤدي إلى إضعاف مركز زيور باشا الذي كان في حاجة إلى المساعدة
والتعاضد !! .

أرأيت كيف تسير السياسة البريطانية على قواعد ثابتة لا تعرف الارتجال ،
وكيف أن ما يقوله غلاة المستعمرين قاطع بأن وحسدة وادى النيل حقيقة من
حقائق الطبيعة إلى حد الاعتراف بأن الحكم الثنائي لا يمكن أن يقوم في السودان
إلا رميا ، لأنه إذا قام حقيقة اختل التوازن ، ورجحت كفة المصريين ، وشالت
كفة الانجليز ، وخرج الأمر من أيديهم ونقضت ثقة البريطانيين بالسودانيين
وخافوا على حياتهم منهم ...

وكيف أن بريطانيا أعدت منذ البداية وقبل أن يقع حادث مقتل السردار
الحبل الذي تشنق به الوحدة ، أو السكين الذي تقطع به الرأس من الجسد ! .. !
الحق أن بريطانيا تهنا على رصيدها الضخم من النفاق فقد كانت تشق الجيوب
وتصرخ وتولول على السير لي سفاك ! ولدها العزيز ، وهي ترقص فرحا لأن
الفرصة لاحت ولأن المصريين سيطردون من السودان .

فنهى رضوانه
الحامى

تكريم المعارضين لمعاهدة

سنة ١٩٣٦ *

أقامت اللجنة العليا لشباب الحزب الوطنى مساء أمس حفلة شاي فى فندق الكوكتيل، تكريما للشيوخ والنواب الاحياء الذين عارضوا معاهدة سنة ١٩٣٦ وهم : أحمد خشبة باشا ، وبهى الدين بركات باشا ، ومحمد على علوبة باشا ، وحافظ رمضان باشا ، وعبد الجليل أبو سمرة باشا ، وعزيز أباطة باشا ، ووهيب دوس بك ، وفكرى أباطة بك ، والاستاذ مصطفى فودة بك ، والاستاذ عبد العزيز الصوفانى . وقد لبي الدعوة لميف من الكبراء والمشتغلين بالسياسة . وبعد تناول الشاي ألقى الاستاذ فتحى رضوان كلمة بسط فيها الغاية من الاجتماع وحيا فيها المعارضين للمعاهدة، ودعاهم للنضال من جديد للقضاء على البقية الباقية من روح هذه المعاهدة .

ثم تلاه الاستاذ يوسف حلمى المحامى ، فألقى كلمة ضمنها ذكرياته السياسية منذ أن كان طالبا فرجلا مشتغلا بالسياسة والمحاماة . ثم وقف رئيس الحزب الوطنى سعادة حافظ رمضان باشا وألقى كلمة « نشرناها فيما بعد » .

وتكلم سعادة علوبة باشا عن المحتفل بهم ، فشكر للجنة العليا لشباب الحزب دعوتها ثم تحدث عن بعض ذكرياته إبان عرض المعاهدة على المجلسين وكيف كانت الحكومة تمنع الاجتماعات وتصادر الرسائل الخاصة التى تضمنت رأيه فى المعاهدة . ثم قال إن الانجليز كسبوا فى معاهدة سنة ١٩٣٦ تأييد الاحتلال والاعتراف

* الازهر بتاريخ ٩ / ١١ / ١٩٤٧ .

لبريطانيا بحق خاص لها على قناة السويس . وقد حاول الانجليز أن يضيفوا إلى هذين البلاءين ثالثة الانافي ، وهو الدفاع المشترك الذي اقترحوه في مشروع يفرن وحذر الحاضرين من الانخداع بما قد تدخله بريطانيا على هذا المشروع من تعديلات في الصيغ تخفي السم في الدسم .

كلمة وهيب دوس بك

ثم تكلم في الختام وهيب دوس بك وقال إنه يعجب أن يقال شباب الحزب الوطني لأن الذي اعرفه دائما عن الحزب الوطني انه من أكبر كبير فيه إلى أصغر صغير كان يفيض بالشباب وقد كان رئيسه نفسه شابا لم يكتمل عمره خمساً وثلاثين عاماً عند وفاته ، ثم قال إن اليقظة القومية التي نشاهدها هذه الايام لتدعو إلى الأمل في مستقبل عظيم فإن الحكومة القائمة اعتبرت الموافقة على فكرة الدفاع المشترك مع بريطانيا إهانة لمن تنسب إليه من الوزراء والحكام . وقد قدمت فعلاً بعض الصحفيين بتهمة العيب في الوزراء لأنها نسبت إليهم أنهم وافقوا على هذه النظرية . مع أن هذه الوزارة نفسها منذ أقل من أحد عشر شهراً كانت توافق على هذه النظرية وتدافع عنها وتبذل الجهود لاقتناع الناس بها .

وقد نشرت مجلة « آخر ساعة » وصفا للحفلة ، قالت فيه تحت عنوان :

حمام يقسم أنه سيقتل من يفاوض

أقام الحزب الوطني في الأسبوع الماضي حفلة شاي في فندق الكوئنتنتال تكريماً لأعضاء البرلمان الذين رفضوا الموافقة على معاهدة سنة ١٩٣٦ التي أسماها النحاس باشا (معاهدة الشرف والاستقلال) .

وأبرز ما في الحفلة أن الأستاذ يوسف حلمي ومن أعضاء الحزب وقف وقال : « إني أعلن أمام الله وعلى رؤوس الأشهاد - وفي غير حماسة ولا انفعال -

أنى سأقتل بيدي أى رجل تسول له نفسه أن يذهب ليقاوض .
وقد صفق الحاضرون لهذا التصريح خمس دقائق .

وقال حافظ رمضان باشا :

يسألوننى كيف نحصل على السلاح ؟ وأنا أقول لهم إن الذى يعرف قيمة
السلاح يعرف الطريق إليه ، والثوار فى كل العالم متسلحون ومحترفو السياسة
فى مصر ، والمتعلمون يتساءلون وحدهم من أين لنا السلاح .. ؟

وقال علوبة باشا :

إن معاهدة سنة ١٩٣٦ أعطت للانجليز حقين أحدهما شرعية الاحتلال والثانى
الدفاع عن قنال السويس فجاء مشروع ينفذ بمائة ألف فى وهو الدفاع المشترك .
كنا فى عهد كرومر نجد للأسف حرية فى مهاجمة الانجليز أرحب وأوسع من
الحرية التى وجدناها فى ظل الديمقراطية البرلمانية النحاسية .

وقال الأستاذ فتحى رضوان :

إن اللورد اللبى أرسل للورد كيرزون فى سنة ١٩٢١ يقول « إنكم تحاولون
عبثا الحصول على مصرى واحد يوقع معاهدة مع بريطانيا لا تعطى كامل الاستقلال »
وقال مستر تشرشل فى كتاب (معركة النهر) أنه من أشد الأمور تأثيراً فى
النفوس تعلق المغرمين بالسودانيين واستعدادهم للتضحية من أجل بقاء العلاقة
بينهم حتى أنه قبل تكوين الرأى العام المصرى سنة ١٨٩٤ رفض شريف باشا
الموافقة ولو سلبيا على سحب الجنود المصرية من السودان وبحيث بريطانيا عبثا
عن رئيس وزارة مصرى يوافق على ما رفضه شريف باشا .

فالتجأت إلى أرمى واسندت إليه رئاسة الوزارة .

وفى سنة ١٩٣٦ وجدت انجلترا رئيس وزارة مصرى هو النحاس باشا لينفذ
ما أبرمه الأرمى الذى لقيته بريطانيا .

أرى لزما على أن أبدأ كلمتى بشكر حضرات منظمى هذا الاجتماع . عند دخولى هذا المكان وباسمائى إلى الخطب التى ألقيت أجدنى مدفوعا إلى إثارة ذكرى أول جلسة عقدها مجلس النواب الفرنسى بعد انتصار فرنسا فى نوفمبر سنة ١٩١٨ إذ دخل القاعة شيخان من أعضاء المجلس وقد أحنت السنون الطويلة قامتهم فهب جميع الأعضاء لاستقبالهما وقوفا وحيوها بغبطة وفى حماس ، والحق أنهم كانوا يحيون فى شخصيهما الايمان الذى لا يتزعزع فى حقوق ومستقبل وطنهما ولم يكن قد بقى حيا سواهما من النواب السبعة الذين رفضوا لإقرار المعاهدة التى فرضتها ألمانيا على فرنسا فى سنة ١٨٧١ .

فهل بوسعى أن أقارن بين جلسة مجلس النواب الفرنسى الخامسة وبين هذا الاجتماع الذى أراد منظموه به أن يكرموا فى أشخاصنا الضعيفة البرلمانيين المصريين الذين رفضوا فى سنة ١٩٣٦ لإقرار المعاهدة التى فرضتها إنجلترا على مصر - هذا الرفض الذى عبر عن إيمانهم الذى لا يتزعزع فى حقوق ومستقبل وطنهم ؟

والحقيقة أننى ترددت كثيرا يا حضرات السادة قبل أن أقبل دعوتكم الكريمة . تكرمونا ؟ ولماذا ؟ ألا نلقينا بواجبنا ؟ ولكن بعد التفكير تبين لى أن نيتكم ليست بلا شك قاصرة على تكريم أولئك الذين لم يفعلوا أكثر من الاستجابة إلى صوت ضمائرهم . إن غرضكم أسمى وأبعد من ذلك ، إنكم ترمون أن تضربوا الأمثال للأجيال القادمة ، إنكم تريدون أن تثبتوا أن الايمان يستقبل مصر لا بضيق سدى ، تريدون أن تظهروا لهم أنه يحق للانسان دائما أن يقول « لا » للذين يريدون استعباد وطنكم .

ولم يكن بين أعضاء البرلمان حزب ناضل معاهدة سنة ١٩٣٦ سوى الحزب الوطنى ولم نكن نحن الوطنيين بقيامنا بهذا الواجب نستحق أى تكريم لأننا لم

نعمل سوى ما يملية علينا برناجنا ومبادئنا . وأما الذين يستأهلون هذا التكريم والذين ننحى أمامهم احتراماً لشيءاتهم ووطنيتهم فهم أولئك الشيوخ والنواب المستقلون عن الأحزاب أو الذين ينتمون إلى أحزاب ساهمت في إبرام المعاهدة والذين رفضوا مع ذلك إقرارها لأنها تتنافى مع مصلحة البلاد . فهؤلاء لهم منا يا حضرات السادة كل تقدير وأعجاب .

وعما يزيد في فضلهم أن مصر كانت تعيش وقتئذ في ظل دكتاتورية برلمانية حقيقية ولولا سلطانها لما أمكن بحال إبرام هذه المعاهدة التي كان معظم موقعيها غير راضين عنها وقد جهر بذلك بعضهم منذ سنة ١٩٣٦ والبعض الآخر أخذ يصرح هذه الأيام بمعارضته لها . وقد كان من الضروري حتى يتيسر توقيع هذه المعاهدة وإقرارها توافر تهديدات السير مايلز لامبسون الذي كثيراً ما قاومناه بشدة ، ووجود قوات الاحتلال الاجنبية على أراضيها ، وضغط دكتاتورية ذلك العهد البرلمانية . فإذا قالت مصر بعد هذا إن هذه الوثيقة قد ألزمت بها إلزاماً فانها لا تعدو بذلك الحقيقة .

فكيف يمكن أن تكون قانونية إتفاقية هذا شأنها ؟ إلى لم يتدخل عنى أبداً الاعتقاد بأن معاهدة سنة ١٩٣٦ منافية لمصلحة مصر وأنها قد ولدت هينة . أو لم أرفض على وجه الاستمرار أن أحتفل بالذكرى السنوية لتوقيعها وقد اعتبرتها الحكومة عيداً رسمياً حتى أنني قد ذهبت في سنة ١٩٣٨ إلى قصر عابدين حيث قابلت كبير الأمراء وصرحت له أنني أرفض بتاتا أن اعتبر يوم ٢٦ أغسطس عيداً لاستقلال مصر وذلك لأن الاستقلال عندى يختلف اختلافاً كلياً عن هذا الوضع الذي يحتفل به وقد أكدت له بعد ذلك مرة أخرى بأننى لا أثق إطلاقاً في معاهدة سنة ١٩٣٦ التي لا أعترف بها مما أدهش كبير الأمراء الذى سألتني أياً نتيجة يمكن أن يرئبها على موقفي هذا ، فأجبتني : « ليس لي غرض سوى أن أسجل أن تخلفي عن حضور الاحتفالات التي تقام كل عام بمناسبة ٢٦ أغسطس لا يصح تفسيرها بما ليس واجب الولاء ولا يصح تعليمها إلا على ضوء عقيدتي الوطنية » .

وإذا كان اعتقادي الشخصي كان دائما ان معاهدة سنة ١٩٣٦ قد نشأت باطلة ولا أثر لها فان هذا لم يكن للأسف رأى الاحزاب الاخرى العديدة . والآن ولم تمض عشرة اعوام أحس بشعور الدهشة والفرح ان شاطرنى جميع المواطنين عقيدتى وهذا هو الحاكم الذى تمت على الله أن يحققه قبل موتى . وها قد تحققت أمنيتى وعرفت الأمة المصرية ان انجلترا قد فرضت معاهدة سنة ١٩٣٦ على مصر وذلك كى تصحيح مركزها القانونى بوادى النيل بعد أن حاولت عدة مرات تحقيق هذا المسعى فافخفت وذلك منذ مفاوضات دروموند وولف ثم الاتفاق الودى مع فرنسا سنة ١٩٠٤ واخيرا محاولتها فى مؤتمر لوزان سنة ١٩٢٢ .

كثير ما ووجهت بالسؤال الآتى « ماذا تستطيع مصر ان تفعله للتخلص من هذه المعاهدة المشؤومة ؟ » وفى رأيى انه يجب على الحكومة المصرية ان تبدأ بتوجيه مذكرة رسمية الى بريطانيا العظمى طالبة منها الجلاء التام للناجزير انترن بشرط من الأرض الوطن وإذا رفضت انجلترا كما هو المحتمل هذا الطلب فان مصر تستطيع حينئذ الغاء هذه المعاهدة وكذلك اتفاقيتى سنة ١٨٩٩ ومهما تكن وسائل القهر التى ستستخدمها انجلترا على اثر هذا الالغاء فانه من الأفضل لمصر أن تتعرض لمظاهر الشدة هذه من أن تقبل الاستعباد ببعض ارادتها واذا ما اجترأت انجلترا على الالتجاء الى وسائل العنف فان الشعوب القومية فى مصر وفى الشرق الاوسط بأجمعهم سيقبلون ثم لا يلبث ان ينفجر بعد ذلك .

ولكن هذه كلها وسائل دبلوماسية أما ما يجب فى الحقيقة على مصر أن تعمله للتخلص من معاهدة سنة ١٩٣٦ فهو أن يعيد الشباب المتوقد بالحماسة الوطنية تنظيم صفوفه وأن يتكامل ويتحد بارشاد قادة مخلصين مستعيرين . إن ما يعوزنا الآن هو زيادة الجيش المصرى وتقويته وامداداه بمعدات القتال الحديثة ليصبح عصريا حتى يتاح له أن يعيد سيرته الأولى قبل الاحتلال الانجليزى منذ أيام محمد على الكبير إلى عصر اسماعيل .

ويجب على كل مصرى ضميفا كان أو قويا شابا أو شيخا أن يعمل بتلك الحكمة التى ظلت دائما وفيها لها وهى : « أد الواجب ودع ما يكون » .

فهرست

الموضوع	صفحة
مقدمة	٣
ماض حي	١٤
الخطابة السياسية الجامعة لحافظ بك رمضان رئيس الحزب الوطنى — ١٩ مايو سنة ١٩٢٤ .	١٥
بريطانيا بين الاستعمار والروح العالمية — حديث لحافظ باشا — ٩ يناير سنة ١٩٤٧ .	١٧
حظ مصر من النجاح فى هيئة الأمم المتحدة — مقال لحافظ باشا — ٣ فبراير سنة ١٩٤٧ .	٣٠
من هم صنائع الانجليز فى مصر — حديث لحافظ باشا رمضان — ١٩ فبراير سنة ١٩٤٧ .	٣٥
حافظ باشا رمضان ينصح النحاس باشا — ٢٢ فبراير سنة ١٩٤٧ .	٣٨
اختلاف الأحزاب لا يخيفنى — مقال لحافظ باشا رمضان — ٨ مارس سنة ١٩٤٧ .	٤٣
رئيس الحزب الوطنى يطالب الأحزاب بارسال برقيات الى مجلس الأمن للمطالبة بالجلء — ٢ أغسطس سنة ١٩٤٧ .	٤٦
عبد الكريم — مقال للاستاذ فتحى رضوان المحامى — ٢ يونيه سنة ١٩٤٧	٥١
١١ يوليه — محاضرة للاستاذ فتحى رضوان المحامى — ١١ يوليه سنة ١٩٤٧	٥٣
حافظ باشا رمضان يتحدث عن بيان مصر وبيان بريطانيا فى مجلس الأمن — ١٨ أغسطس سنة ١٩٤٧ .	٦٨
بعد مناقشات مجلس الأمن — ٢٢ أغسطس سنة ١٩٤٧ .	٧١

صفحة	الموضوع
٧٤	ماذا أفعل لو كنت مكان النقراشى — ٢٣ أغسطس سنة ١٩٤٧ .
٧٩	خطاب سياسى لرئيس الحزب الوطنى فى الاسكندرية — ٢٨ اغسطس سنة ١٩٤٧ .
٨٤	رأى حافظ باشا رمضان فى الموقف الحاضر وفيما هل تقوم فى مصر ثورة — ٢٧ اكتوبر سنة ١٩٤٧ .
٨٧	وثائقنا أمام مجلس الأمن — اكتوبر سنة ١٩٤٧ .
٩٠	مصر والولايات المتحدة — ١٨ ابريل سنة ١٩٤٧ .
٩٤	حفلة الحزب الوطنى للمصحفين الأجانب — ١٦ مارس سنة ١٩٤٧ .
٩٧	كلمة الدكتور نور الدين طراف فى احتفال الصحفيين الأجانب .
١٠٢	كلمة الاستاذ فتحى رضوان فى حفلة الصحفيين الأجانب .
١٠٦	ذكرى احتلال الانجليز للقاهرة — كلمة الاستاذ محمود الحناوى المحامى — ١٤ سبتمبر سنة ١٩٤٧ .
١١٣	وثيقة خطيرة يجب أن تقدمها مصر لمجلس الأمن — مقال للاستاذ فتحى رضوان المحامى — ٦ أغسطس سنة ١٩٤٧ .
١١٨	حفلة تكريم المعارضين لمعاهدة سنة ١٩٣٦ .
١١٩	كلمة وهيب دوس بك .
١١٩	محام يقسم انه سيقول من يفاوض .
١٢١	خطاب حافظ رمضان باشا .

ملحوظة :

لم يواننا الحظ بنشر كلمة الدكتور زهير جرانه التى القاها فى حفلة الصحفيين الاجانب ، وسنشرها فى المجموعة التالية باذن الله ، ومعها كلمة سعادة حافظ باشا رمضان فى هذا الاجتماع ذاته .

مطبعة منبر الشرق بالساحرة



طلب انضمام

حضرة صاحب السعادة رئيس الحزب الوطنى

٢١ شارع شريف باشا بالقاهرة .

بعد التحية ، أرجو قبولى عضواً بالحزب الوطنى . وأتعهد
بأن أعمل بمبادئ الحزب ، وأهتدى بعقيدته ، وأن أبث
ما استطعت بين المواطنين دعوته . وأن أحترم قوانينه وأنفذها .
وتفضلوا بقبول الاحترام .

الامضاء

تحريرا في ١٩٤ / /

الاسم

العنوان

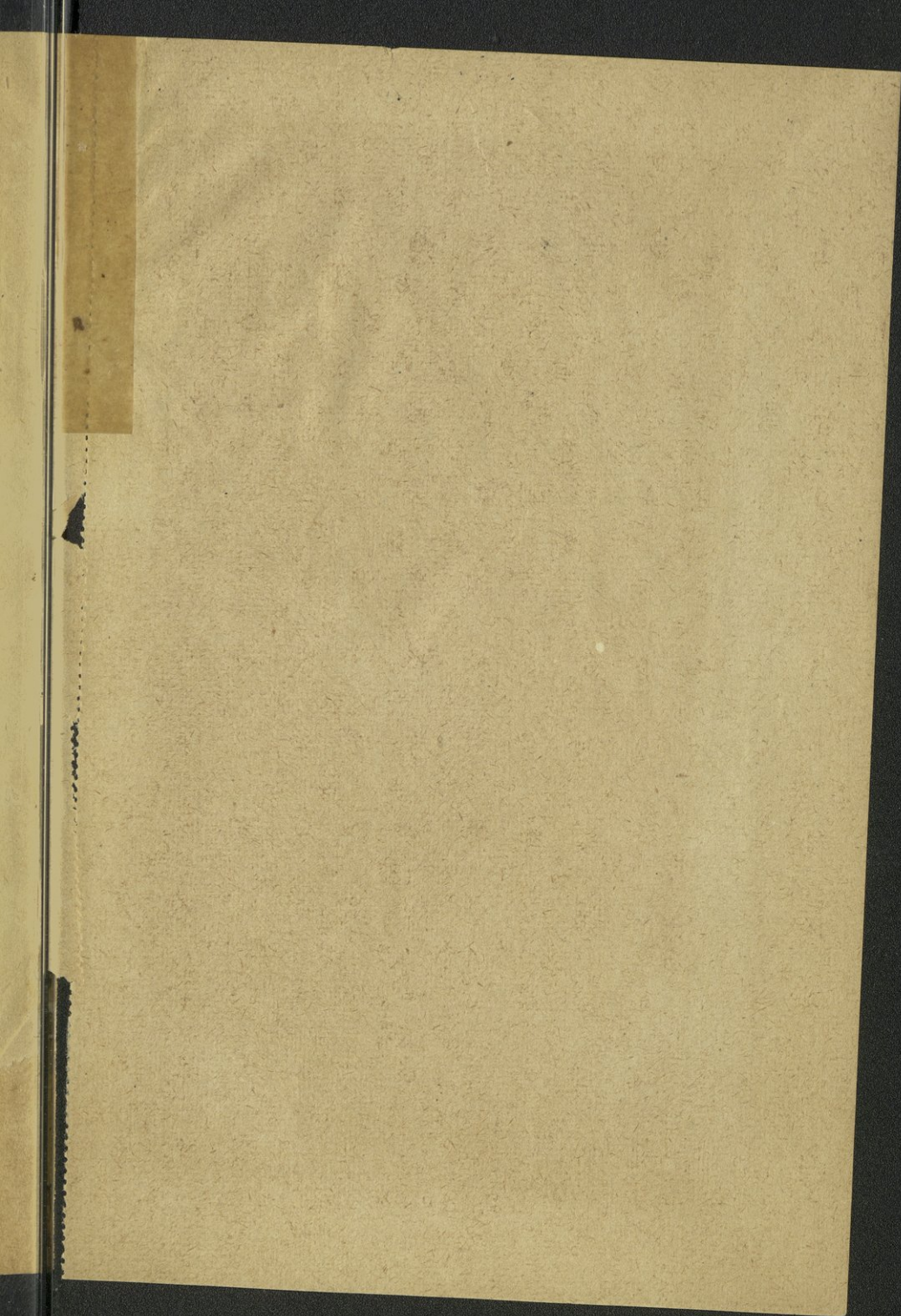
نذكرى هذا الطلب ونرجو قبوله .

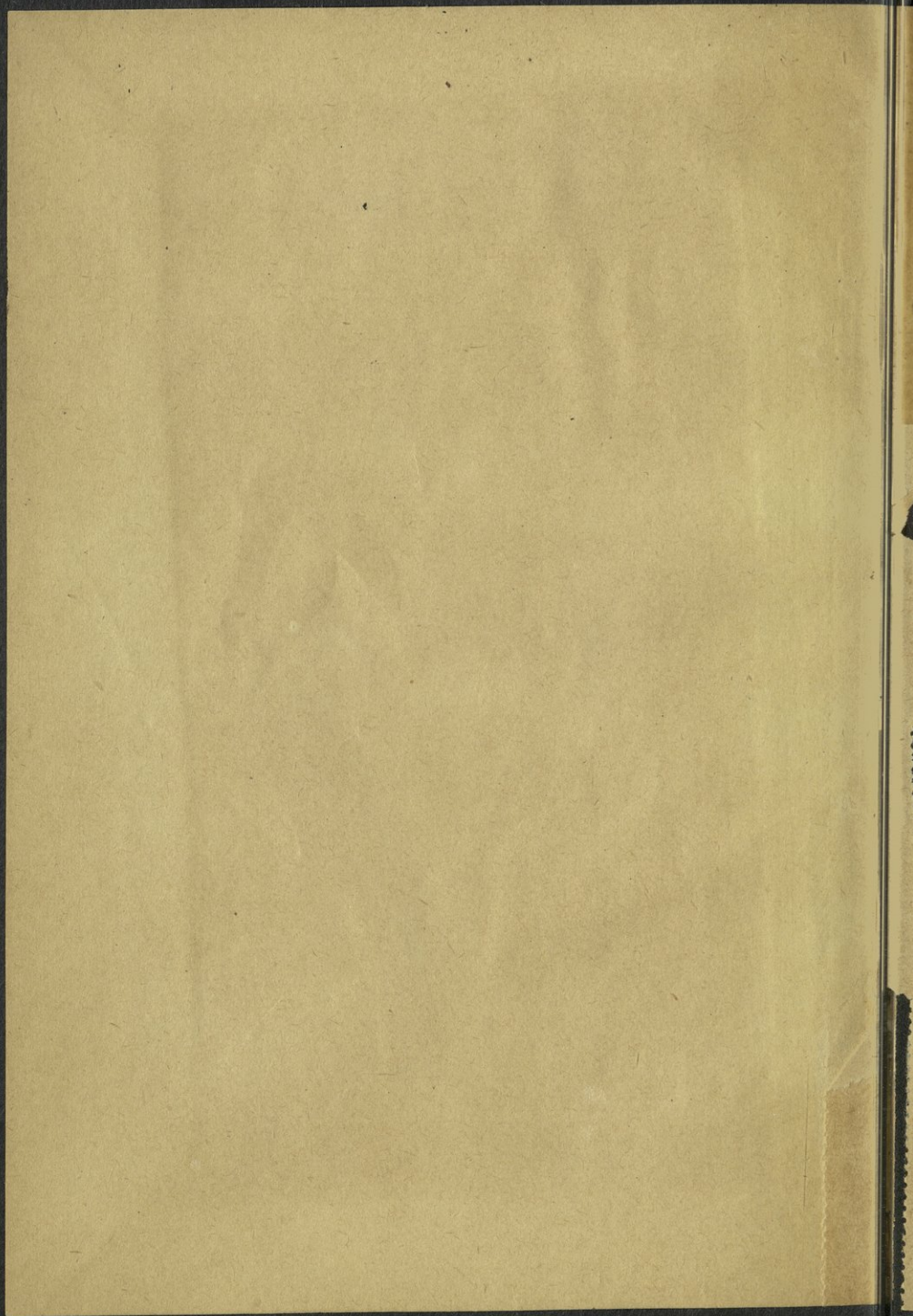
امضاء

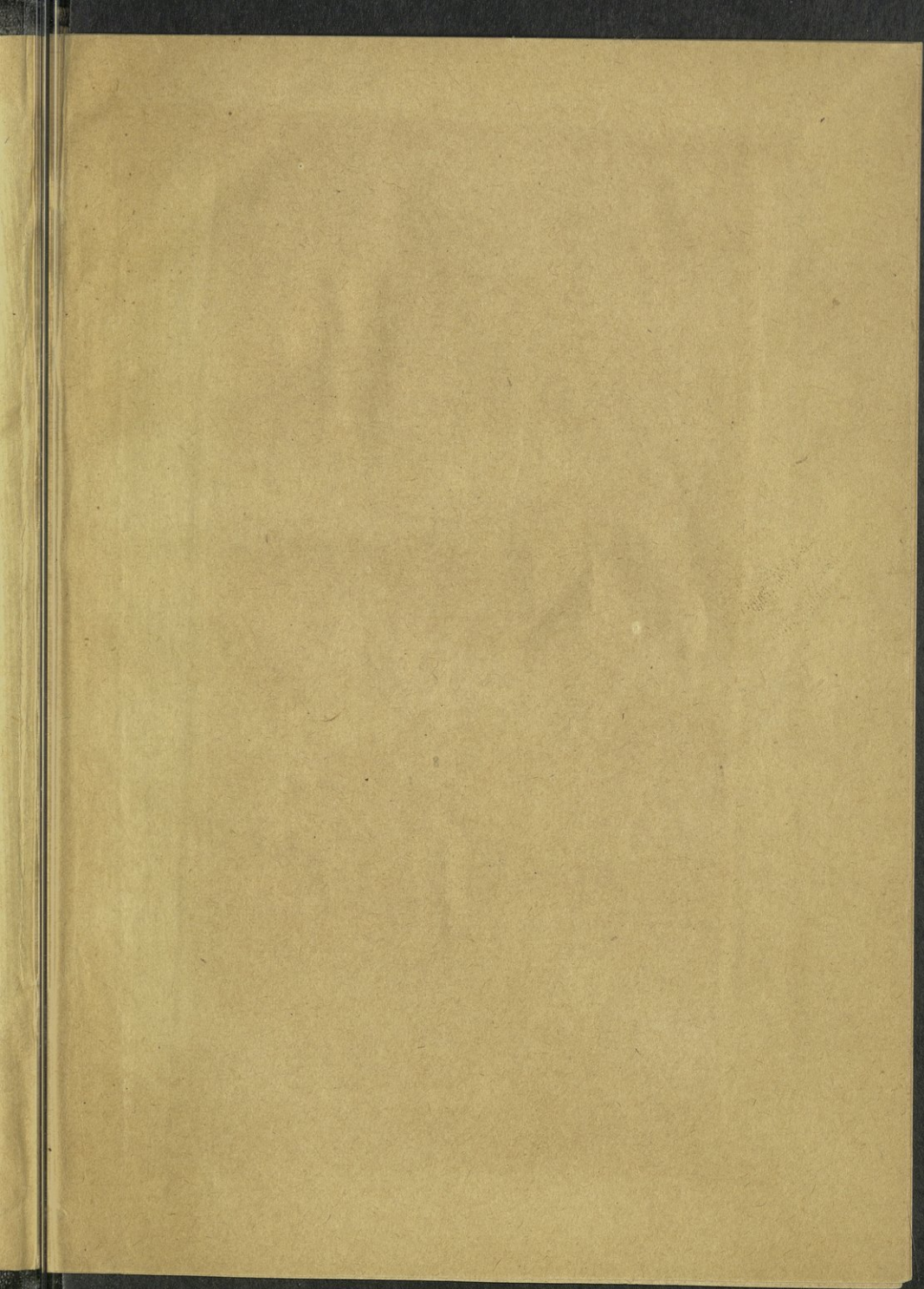
امضاء

قبل هذا الطلب في يوم

امضاء







329.962:H67hA:v.2:c.1

الحزب الوطني (مصر)

الحزب الوطني في عام ١٩٤٦-١٩٤٧

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01015235

American University of Beirut



329.962

H67hA

1947

General Library

